

أَعْلَمُ الْمَسْلُومِينَ

٦

عبد الله بن عمر

الصَّحَابِيُّ الْمُؤْتَمَرُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ

١١ ق ٥ - ٧٣ هـ

محيي الدين مستو

الطبعة الأولى

١٣٩٣ هـ

١٩٧٣ م

حقوق الطبع محفوظة

دار الفلم

دمشق - بيروت

هَذَا الرَّجُلُ

« ان من أملك شباب قريش لنفسه عن الدنيا عبد الله بن عمر »
عبد الله بن مسعود

« ما رأيت أحداً الا قد مالت به الدنيا أو مال بها ، الا عبد الله
ابن عمر »

جابر بن عبد الله

« مات ابن عمر رضي الله عنه يوم مات ، وما في الارض أحد
أحب الي أن ألقى الله عز وجل بمثل عمله منه »

سعيد بن المسيب

« أبو عبد الرحمن العدوي المدني الفقيه ، أحد الاعلام في
العلم والعمل ، وهو من أهل بيعة الرضوان ، وممن كان يصلح
للخلافة فتعينَ لذلك يوم الحكمين مع وجود مثل الامام علي
وفاتح العراق سعد ونحوهما - رضي الله عنهما - ومناقبه جمة ،
اثني عليه النبي صلى الله عليه وسلم ووصفه بالصالح » •

الامام الذهبي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله
وأصحابه ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد :

فقد عشت مع عمر بن الخطاب زمناً مباركاً ميموناً ، وأنا أعمل في
تحقيق كتاب عن سيرته^(١) مع أستاذي الكريم الشيخ نايف العباس
- حفظه الله تعالى - وكان اسم ابنه (عبد الله) يتردد معنا كثيراً
ونحن نتابع فصول سيرة عمر العظيمة ، والتي يعتز بها كل مسلم .

ولما ظهرت سلسلة « أعلام المسلمين » ؛ رأيت أن أسهم في هذا
العمل الهادف إلى الدعوة إلى الإسلام عن طريق تجلية التاريخ الإسلامي ،
وإظهار حياة الأبطال والعظماء والعلماء ؛ الذين كانوا نماذج حية لهذا
الدين في عزته وصفائه وقوته ، وما زالوا كواكب نيرة في سماء هذه

(١) هو كتاب « سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، لابن الجوزي »
وسوف نقوم بطبعه قريباً بعون الله تعالى .

الأمة يستنار بنورهم ويهتدى بهديهم . فاخترت الكتابة عن « عبد الله ابن عمر بن الخطاب » رضي الله عنها .

ووضعت نصب عيني " وأنا أضع الخطوط العريضة لسيرة « عبد الله ابن عمر » ؛ أن أبرز شخصية « عبد الله » ذي الصفة المبكرة ، والشباب الناشئ في عبادة الله ، والرجولة الصالحة ، وأن أوضح مدى تأثيره بنيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وبآبيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وقد وجدت وأنا أتتبع أخبار « عبد الله » أن شخصية عمر القوية العظيمة أثرت تأثيراً واضحاً في حياة ابنه الأكبر من حيث التريسة والتوجيه ، إلى جانب ما ورثه عبد الله من سيرة هذه الشخصية ، ومحاولته دائماً التشبه بها ؛ حتى قال سعيد بن المسيب :

« كان أشبه ولد عمر بعمر عبد الله »^(١) . وقال أبو سلمة بن

عبد الرحمن : « مات ابن عمر وهو في الفضل مثل أبيه »^(٢) وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال : « ما فاقة أضلّت فصيلها في فلاة من الأرض بأطلب لأثرها من ابن عمر لعمر بن الخطاب »^(٣) .

ووجدت « عبد الله » يتمتع بصفات خاصة تجعله ينفرد بها عن عمر ؛ اكتسبها رضي الله عنه من صحبته لرسول الله ﷺ ومن جهاده المبكر

(١) صفة الصفوة (١ : ٥٦٧)

(٢) سير أعلام النبلاء (٣ : ١٤٠)

(٣) صفة الصفوة (١ : ٥٦٧)

لنصرة الاسلام ، ومن ملازمته لكبار الصحابة في المدينة ومكة ، ومن عمره الطويل الذي اكتسب فيه الخبرة والتجربة ، ولكن شخصية أبيه المدهشة ، ومدة خلافته التي امتازت بالعدل والفتوحات ، حجبت الأضواء بعض الحجب عن حياته في بعض كتب التراجم ؛ قال : أبو إسحاق السبيعي : « كنا نأتي ابن أبي ليلى وكانوا يجتمعون إليه فجاء أبو سلمة بن عبد الرحمن فقال : أعرم كان أفضل عندكم أم ابنه ؟ قالوا : بل عمر ، فقال : إن عمر كان في زمان له فيه نظراء ، وإن ابن عمر بقي في زمان ليس له فيه نظير »^(١)

« وهو رأي مبالغ فيه يغفره استحقاق ابن عمر له ، أما « عمر » فلا يقارن بمثله — بعد رسول الله ﷺ وأبي بكر — أحد . . وهيات أن يكون له في كل عصور الزمان نظير »^(٢) .

ومن خلال هذا التحليل لشخصية ابن عمر ؛ بدت لي الكتابة عن سيرته شيقة للغاية ، وما أجملها من رحلة مباركة ، ونحن نعيش بأرواحنا وقلوبنا تلك الفترة السعيدة من عمر البشرية ، ونتابع بتلهف وشوق « عبد الله بن عمر » يدرج على درب الحياة طفلاً وشاباً وكهلاً وشيخاً ؛

(١) سير أعلام النبلاء (٣ : ١٤٠)

(٢) عن كتاب « رجال حول الرسول » بتصرف يسير (١ : ١٣٥)

حيث نور الرسالة ، وهداية الوحي، وجهاد الرسول الأمين ﷺ . وحيث صدق عزيمة أبي بكر ، وعدالة عمر ، ورحمة عثمان ، وعلم علي ، وحلم معاوية - رضي الله عنهم - فقد عاش « عبد الله » في هذه الفترة الرغبة المحيطة ، وشارك فيها مشاركة جديفة .

وما أحوجنا اليوم إلى القدوة بعد أن أمحلت أرضنا من الأبطال ، وأصاب أمتنا العقم ، فأصبحنا لا نجد بيننا أمثال أولئك الرجال الأفذاذ ، الذين رباهم الرسول ﷺ ، وخرج منهم النخبة الصالحة والجيل المعلم .

وإن وجود الخواص يؤدي إلى صلاح الأمة أو فسادها ، فيؤدي رشدهم إلى رشد الأمة بكاملها ، ويؤدي ضلالهم إلى ضلالها ، فمتى كانت الأمة في إقبال نبغ من بينها خواص يسيرون على الصراط السوي ويسيرون الأمة معهم عليه ، ومتى كانت الأمة في إدبار ؛ ابتدأ الفساد في خاصتها الذين يتأثر بضلالهم وفساد أخلاقهم عامة الناس^(١) .

والإسلام يزيل السدود والعقبات من طريق أي مسلم في المجتمع ؛ للوصول إلى مصاف هذه الجماعة الصالحة .

وكتابة سير الأبطال والعظماء وصور التضحية والانتصارات لا يعني أننا نؤمن بالأسطورة ؛ حيث يظهر الفرد الحرافي الذي تبدو الأمة إلى جانبه هملاً ، والأشخاص أصفاً ونكرات ، كما أننا لا نقبل بإهمال

(١) انظر كتاب « نحن والحضارة الغربية » ، لأبي الأعلى المودودي .

الفرد والحجر عليه والاهتمام فقط بالمجتمع^(١) ؛ ولا نقصد من هذه الكتابة التغي والتفاخر بتلك الأجداد ، ونحن نعيش كالأقزام .

وإنما غایتنا أن تتجلى أمام أعیننا طريقة حياتهم ، وكيف تأثروا بهذا الاسلام ، وكيف أثر الاسلام في سلوكهم . إنهم أبطال تاریخنا ، والترجمة العملية لمبادئ ديننا ، وإن أمة لا تاریخ لها ولا أجداد ولا أبطال ، لا يمكن أن يكون لها حاضر سعيد ولا مستقبل زاهر .

وقد بذلت ما أستطيعه من جهد في تقصي أخبار هذا الصحابي الجليل في كتب التراجم والحديث والتاریخ ، واختیار وتنسيق ما يتلاءم مع أهداف سلسلة « أعلام المسامین » وحجمها . واختارت الطريقة الحديثة في كتابة التاريخ والسير ؛ فانتقيت الحُبْر القوي الصحيح وحافظت على عبارة السلف ، وعزوت كل خبر إلى مصدره الذي أخذته منه .

ولن مما يبهج نفسي ، ويشعرنی - في نفس الوقت - بالرهبة المحفوفة بالحیطة والحذر ؛ أنه لم یؤلف عن حياة « ابن عمر » كتاب مستقل قديماً أو حديثاً فيما أعلم .

ووجدت من الأفضل وأنا أعرض مراحل هذه السيرة المباركة ؛ أن أتقيد بالتسلسل الزمني ؛ فأحدث أولاً عن طفولة « ابن عمر » وأذكر اسمه وكنيته ونسبه ومولده ونشأته .

(١) انظر (الذردية والجماعية) في كتاب « منهج التربية الاسلامية »

لمحمد قطب (ص ١٩٩) .

ثم أرافقه في حياته مع الرسول ﷺ ، ومع الخليفة الأول أبي بكر الصديق ، ومع أبيه عمر ، وفي عهد عثمان ، وفي عهد علي بن أبي طالب - رضي الله عنهم - وفي حكم بني أمية ، ثم أنحدث عن وفاته وحليته وأسرتة ؛ لأفرغ إلى توضيح معالم شخصيته وفضائله .

فإلى الدعاة من شباب أمتي ، وإلى علمائها العاملين من أجل إحياء الجماعة الصالحة والنخبة الفاضلة ، أقدم حياة « عبد الله بن عمر » رضي الله عنها ؛ ليجدوا في أيامها المباركة : الجهاد والجرأة ، والزهد والقوة ، والعلم والعمل ، والجلود والعبادة ، وقد تمثلت حقائق مأموسة .
والله أرجو أن يكون عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم ، وخدمة دينه الحنيف .

(محيي الدين مستو)

دمشق الشام في ١ رمضان ١٣٩٣ هـ

٢٧ أيلول ١٩٧٣ م

مَعَالِمُ حَيَاةٍ

● طفولته ونشأته

● مع الرسول صلى الله عليه وسلم

● مع الخلفاء الراشدين

● في حكم بني أمية

● وفاته

● حياته ولباسه

● أسرته

طفولته ونشأته

• اسم و کنیت

• نسبہ

• ابوہ

• امہ

• نشانہ

طفولته ونشأته

اسمه وكنيته

اسمه عبد الله ، وهذا الاسم مشهور ومتداول في الجاهلية ، وهو من أفضل الأسماء وأحبها إلى الله تعالى في الاسلام ؛ فقد روى عبد الله بن عمر عن رسول الله ﷺ قوله :

« إن أحب أسماءكم إلى الله عبد الله و عبد الرحمن » (١) .
ولذلك كان محباً لهذا الاسم فخوراً به ؛ حتى إنه كتبه على خاتمه ؛ قال ابن سيرين : كان نقش خاتم عبد الله بن عمر : « عبد الله بن عمر » (٢) .
وكان في به رضي الله عنه كان يعتز بعبوديته لله لا لغيره ، ويفتخر ببنيته من أبيه العظيم عمر (٣) .

وهو أحد العبادلة الأربعة وهم :

عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن عمرو بن العاص .

(١) رواه مسلم في أول باب من كتاب الآداب .

(٢) طبقات ابن سعد (٤ : ١٧٦) .

(٣) من المتفق عليه عند العلماء أنه إذا قيل : « ابن عمر » فالمقصود : « عبد الله » .

هكذا سماهم أحمد بن حنبل وسائر المحدثين وغيرهم .

قيل لأحمد : فابن مسعود ؟ قال : ليس هو منهم

قال البيهقي : لأنه تقدمت وفاته ، وهؤلاء عاشوا طويلا حتى

احتيج إلى علمهم ، فإذا اتفقوا على شيء قيل هذا قول العبادة

أو فعلهم ^(١)

وكنيته أبو عبد الرحمن ، وهو مشهور بها ، و كتب التراجم

والحديث مجمعة على ذلك ^(٢) ، وفي طبقات ابن سعد - عند ذكر أولاد

عبد الله بن عمر - وعبد الرحمن : وبه كان يُكنى وأمه أم علقمة بنت

علقمة من بني محارب بن فهر ^(٣) .

أصبه

هو عبد الله بن عمر بن الخطّاب ، بن ذُفَيْل من بني عديّ بن

كعب ، بن أوي ، بن غالب ، بن فهر ، بن مالك ، بن النضر ^(٤) .

ويجتمع هذا النسب مع نسب النبي ﷺ في كعب .

(١) تهذيب الأسماء واللغات ، للنووي (١ : ٢٦٧) .

(٢) البداية لابن كثير (٩ : ٤) وسير أعلام النبلاء (٣ : ١٣٤)

والإصابة (٢ : ٣٣٨) .

(٣ و ٤) طبقات ابن سعد (٤ : ١٤٢) .

أبوه :

سيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - بن نفيل القرشي العدوي ، أبو حفص ، ثاني الخلفاء الراشدين ، وأول من لقب بأُمير المؤمنين ، الصحابي الجليل ، الشجاع الحازم ، صاحب الفتوحات ، يُضرب بعدله المثل ، كان في الجاهلية من أبطال قريش وأشرفهم ، وله السفارة فيهم ، يُنافر عنهم وينذر من أرادوا إنداره .

وهو الذي كان النبي ﷺ يدعو ربه أن يعز الإسلام به ، أسلم قبل الهجرة بسبع سنين ^(١) . وشهد الوقائع كلها .

قال ابن مسعود: ما كنا نقدر أن نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر . وبويع بالخلافة يوم وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه سنة ١٣ هـ بعهد منه ، وفي أيامه تم فتح الشام والعراق ، وافتتحت القدس والمدائن و مصر والجزيرة . حتى قيل : انتصب في مدته اثنا عشر ألف منبر في الاسلام . وهو أول من وضع التاريخ الهجري ، واتخذ بيت مال المسلمين ، وأمر ببناء البصرة والكوفة فبُنيتا ، وأول من دَوَّن الدواوين في الاسلام لإحصاء أصحاب الأعطيات وتوزيع المرتبات عليهم .

وكان يطوف في الأسواق منفرداً ، ويقضي بين الناس حيث أدركه الخصوم . وفي الحديث : « اتقوا غضب عمر ؛ فإن الله يغضب لغضبه » ^(٢) .

(١) انظر تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص ١٠٨) .

(٢) الرياض النضرة (٢ : ٩) .

لقبته النبي ﷺ بالفاروق ، وكناه بأبي حفص (١) ، وكان يقضي على عهد رسول الله ﷺ .

قالوا في صفته : كان أبيض عاجي اللون ، طويلاً مشرفاً على الناس ، كث اللحية ، أنزع (منحسر الشعر من جانبي الجمجمة) يصبغ لحيته بالحناء والكم .

قتله أبو لؤلؤة فيروز المجوسي (غلام المغيرة بن شعبه) غيلة بخنجر في خاصرته وهو في صلاة الصبح ، وعاش بعد الطعنة ثلاث ليال (٢) .
ولقد بقي « عبد الله » منذ نعومة أظفاره إلى أن توفاه الله بعد عمر طويل باراً بأبيه ، معجباً به ، متشهماً بأقواله وأفعاله .

أمه

وأمه زينب بنت مظعون الجمحية ، أخت عثمان بن مظعون ، وهي أم حفصة وعبد الله وعبد الرحمن الأكبر ، فذكر الزبير أنها من المهاجرات ، وثبت في صحيح البخاري عن عمر أنه قال في حق ولده عبد الله : هاجر به أبواه (٣) .

وهكذا توفر لابن عمر النسب الرفيع ، فهو عدوي من قريش ،

(١) الحفص : الأسد .

(٢) الأعلام للزركلي بتصرف (٥ : ٢٠٣ - ٢٠٤) .

(٣) الإصابة (٤ : ٣١٢) والاستيعاب (٤ : ٣١٤) .

وأبوه عمر أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وثاني الخلفاء الراشدين ، وأمه من المهاجرات .

ولئن قرر الاسلام المساواة ، وعدم التفاضل بالأنساب والأموال ، وأن من قصر به عمله لم يُدرك به نسه ؛ فإن ابن عمر لم يقصر به عمله ، ولم يقصر به نسه ، بل كان رجلاً صالحاً ، وفي الذروة شرفاً وأرومة .

مولده

قال ابن حجر : كان مولد عبد الله بن عمر في السنة الثانية من البعث ؛ لأنه ثبت أنه كان يوم بدر ابن ثلاث عشر سنة ، وكانت بدر بعد البعثة بخمسة عشرة سنة ^(١) .

نشأته

ولد ابن عمر في مكة وفي ربوعها عاش طفولته الأولى ، وعندما بدأ يحس ما حوله ويعقل ما يرى ؛ اعتنق مع أبيه عمر الاسلام ، وشارك أهله ما أصابهم من أذى المشركين ؛ حتى أذن رسول الله ﷺ لأصحابه بالهجرة ، فهاجر مع أبويه وعمره إحدى عشرة سنة .

وفي دار الهجرة نشأ نشأة إسلامية خالصة ، وتربى في أعظم مدرسة عرفتها الدنيا ، وهي مدرسة رسول الله ﷺ .

(١) فتح الباري (٨ : ٩١) .

عشر سنوات ميمونة أمضاها « ابن عمر » في صحبة الرسول المربي في المدينة ، وآيات القرآن تنزل على رسول الله ﷺ لإقامة بناء المجتمع الاسلامي ، وتنظيم دولة الاسلام .

ولقد شارك في نصره الاسلام ، وحارب مع الرسول ﷺ حتى نقي الله الجزيرة العربية من الأنصاب والأوثان ؛ قال ابن عمر : « قاتلت والأنصاب بين الركن والباب حتى نفاها الله عز وجل من أرض العرب » ، وقبل أن يتزوج استفاد من أيام العزوبة ، فلازم المسجد يحفظ القرآن الكريم وكلام الرسول وأفعاله وهو بيني النفوس ويصلح القلوب .

وكان يحظى باهتمام رسول الله ﷺ واهتمام أبيه عمر رضي الله عنه فتعلم من أبيه عمر خيراً كثيراً ، وتعلم مع أبيه من رسول الله ﷺ الخيرة ، ولقد أثبتت الأيام أنه كان جديراً بهذا الاهتمام ؛ فقد أصبح بطلاً مجاهداً وعابداً تقياً ، عالماً ورعاً . وأهم ما يستوقف الانسان في حياة هذا الرجل العظيم ؛ أنه بقي مثابراً على مبادئه ونشأته وأصول تربيته الأولى ، وفيما للماضي الذي ترعرع فيه ونما - ترعاه رحمة النبي ﷺ ، وحنان الأب المحب العطوف - متيقظاً حذراً من تقلبات الأيام ومغريات الحياة .

وسنجد الجهاد والعبادة والكرم ، والزهد في الدنيا وإيثار الآخرة ، والتشدد في التأسي برسول الله ﷺ سمات ظاهرة وبارزة في حياته حتى توفاه الله .

مَعَ الرَّسُولِ — عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

● اسلامه

● هجوري

● صبحينه

● مشاهدہ

مَعَ الرُّسُولِ ﷺ

إِسْلَامُهُ

أسلم « عبد الله » مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم^(١) ، ولم ينقل إلينا كيف أسلم ؛ ولكن من يتتبع الروايات في سبب إسلام أبيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ؛ يجد أن الله أعز به الإسلام ، وكان إسلامه فتحاً ونصراً للمسلمين ، وخرج من دار الأرقم بن أبي الأرقم يعلن إسلامه ويضرب ويضرب ، ولا شك أن عمر أصبح داعية للإسلام ، وأول ما يدعو الإنسان أهله وأسرته ، وكان « عبد الله » أحد أفراد هذه الأسرة السعيدة التي استجابت لهذا الدين الجديد ، ورددت مع راعيها العظيم كلمات الشهادة ، وأيقن « ابن عمر » وهو غلام صغير أن ما حدث لأبيه إنما هو أمر جليل ؛ فخرج معه في طرقات مكة ينظر ما يصيبه من أذى المشركين ، وليحدثنا حديث المشاهد لما يقع ؛ قال ابن عمر :

لما أسلم عمر بن الخطاب قال : أي أهل مكة أنقل للحديث ؟ قالوا : جميل بن مَعْمَرِ الْجَمْعِي ، فخرج عمر وخرجت وراءه ، وأنا غُلَيْثِمٌ أعقل كل ما رأيت ، حتى أتاه ، فقال : يا جميل ، أشعرت أني قد

(١) أسد الغابة (٣ : ٣٤٠) وطبقات ابن سعد (٤ : ١٤٢) .

أسامت؟ فوالله ما راجعه الكلامَ حتى قام يَجُرُّ رداءه ، وخروج عمر يتبعه ، وأنا معه ، حتى إذا قام على باب المسجد صرخ: يا معشر قريش ، إن عمر قد صبا . قال : كذبت . ولكنني أسامتُ وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله . وثاروا إليه ، فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤوسهم . قال : وطَلَحَ^(١) فقعد وقاموا على رأسه وهو يقول : افعلوا ما بدا لكم ، فأحلف بالله أن لو قد كُنا ثلاث مائة رجل لقد تركناها لكم ، أو تركتموها لنا^(٢) ؛ قال : فينماهم على ذلك ، إذ أقبل شيخ من قريش ، عليه حلة حيرةٌ وقبصٌ مؤسَّى ، حتى وقف عليهم ، فقال :

ما شأنكم؟ قالوا : صبا عمر ؛ فقال : فَمَهْ ؟ ! رجل اختار لنفسه أمراً فماذا تريدون ؟ أترون بني عدي بن كعب يُسامون لكم صاحبهم هكذا ! خلّوا عن الرجل . قال : فوالله لكأنما كانوا ثوباً كُشِطَ عنه^(٣) . قال : فقلت لأبي بعد أن هاجر إلى المدينة : يا أبت ، من الرجل الذي زجر القوم عنك بمكة يوم أسامت وهم يقاتلونك ؟ فقال : ذاك - أي بني - العاص بن وائل السهمي^(٤) .

(١) طَلَحَ : أَعْيَى .

(٢) يريد مكة المكرمة .

(٣) كُشِطَ : رَفَعَ .

(٤) سيرة ابن هشام (١ : ٣٤٩) .

وأما ما روي من أن ابن عمر أسلم قبل أبيه فبعدت جداً ، وقد نقل ابن حجر عن البغوي قوله : أسلم « عبد الله » مع أبيه ولم يكن بلغ يومئذ ^(١) .

وقال ابن عبد البر في كتابه « الاستيعاب في معرفة الأصحاب » :
أسلم عبد الله بن عمر مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم ^(٢) .
والهمم الذي نصل إليه بثقة وطمأنينة ، أن عبد الله بن عمر بلغ مبلغ الرجال وهو متمكن من إسلامه وإيمانه ، ومع أن الإسلام يجب ما قبله فإن حياته بقيت نظيفة من عبادة غير الله ، فكان من إكرام الله له أن يبدأ وعيه كغلام صغير وشمس الاسلام تسطع في مكة فتبدد ظلمات الجهل والشرك ، وأن يفتح سمعه وعقله في المدينة وكلمات السهاء تتروّد على لسان النبي ﷺ صباح مساء .

إنه قدر خير وبركة أن يعتنق « عبد الله » الاسلام طفلاً ، ويجاهد في سبيل نشره شاباً وكهلاً ، وأن يبقى وفياً لمبادئه مستمسكاً بعهد رسول الله ﷺ فلم يفتن بعده ولم يتغير بعد أن أصبح شيخاً مسناً .

هجرته

بقي « عبد الله » مع أهله في مكة سبع سنوات بعد اعتناقهم الاسلام ، ولا شك أن هذه السنوات كانت قاسية وشاقة تحملت فيها أسرة « عمر »

(١) الاصابة (٢ : ٣٣٨) .

(٢) الاستيعاب (٣ : ٩٥٠) .

أذى المشركين وعنادهم، وخاصة عندما أصر عمر على أن يصيبه ما أصاب المسلمين، فذهب يعلن إسلامه ويقول: فما زلت أضرب ويضربونني حتى أعز الله الاسلام^(١).

ولما أذن الرسول ﷺ للمسلمين بالهجرة إلى المدينة وقال لهم: «إن الله قد جعل لكم إخواناً وداراً يأمنون بها^(٢)»؛ جعلوا يخرجون إليها أرسالاً^(٣)، وأحست قريش بوادر الخطر، فجعلت تحول بينهم وبين ما يريدون، وتمنع من تستطيع أن تمنعه منهم؛ ولكنها لم تستطع أن تحبس في مكة إلا المستضعفين، والذين لم يستطيعوا أن يتسللوا خفية. أما عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد تحدى هذا المنع وأعلن هجرته كما أعلن إسلامه؛ فعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: «ما علمت أحداً من المهاجرين هاجر إلا محتفياً، إلا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فإنه لما هم بالهجرة، تقلد سيفه وتكب قوسه، وانتضى في يديه أسهماً، واختصر عتزته - حربة صغيرة جعلها على خصرته - ومضى فيل الكعبة والملا من قريش بفنائها؛ فطاف بالبيت سبعاً، ثم أتى المقام فصلى ركعتين، ثم وقف على الحيات^(٤) واحدة واحدة فقال: شأنت

(١) أسد الغابة (٤ : ٥٥) .

(٢) سيرة ابن هشام (١ : ٤٦٨) .

(٣) أرسالاً : جماعة في إثر جماعة .

(٤) الحلق : مجالس القوم وحلقاتهم .

الوجوه ! لا يرغب الله إلا هذه المعاطس ! من أراد أن تشكله أمه ، أو
يوتّم ولده ، أو ترمّل زوجته ، فليلقني وراء هذا الوادي ! قال علي : فما
تبعه أحدٌ ، ثم مضى لوجهه^(١) .

وعبد الله بن عمر هاجر مع أبيه وأمه وهو ابن إحدى عشرة سنة ،
فكان رفيقاً بأبيه في هذه الرحلة المباركة ، ولا شك أنه كان يشعر بالعزة
والأمن وهو يغادر مكة في كنف هذا الأب القوي الذي أبى إلا أن
يستعلن بهجرته .

وروى « عبد الله » طرناً من هجرة أبيه فقال : قال عمر اتعدت
لما أردنا الهجرة إلى المدينة ، أنا وعياش بن أبي ربيعة وهشام بن العاصي
ابن وائل السهمي التناضب^(٢) من أضامة بني غفار^(٣) فوق مَرَف^(٤)
وقلنا : أينالم يصبح عندها حُبَسَ فليعض صاحباه ، قال : فأصبحت
أنا وعياش بن أبي ربيعة عند التناضب ، وحُبَسَ عنا هشام ، وفُتِنَ
فافتن . فلما قدمنا المدينة نزلنا في بني عمرو بن عوف بقُبَاء^(٥) .

وهجرة « عبد الله » مع أبيه هو المشهور^(٦) في أكثر كتب التراجم

(١) الرياض النضرة (١ : ٢٥٨) .

(٢) التناضب : اسم موضع ، ومن رواه بالكسر ؛ فهو جمع تنضب ،
وهو شجر .

(٣) أضامة بني غفار : موضع دلي بعد عشرة أميال من مكة .

(٤) مرف : موضع على ستة أميال من مكة .

(٥) سيرة ابن هشام (١ : ٤٧٧) .

(٦) نسب قريش (ص ٣٤٨) وسير أعلام النبلاء (٣ : ١٣٥) والرياض

النضرة (٢ : ١٠٦) .

والمقصود عليه في صحيح البخاري ؛ فغن نافع : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان فرض للمهاجرين الأولين أربعة آلاف ، وفرض لابنه ثلاثة آلاف وخمسمائة ، فقليل له : هو من المهاجرين ، فلم نقصته ؟ فقال : إنما هاجر به أبواه ، يقول : ليس هو كمن هاجر بنفسه .

ذكريات الهجرة

وبعد أن فتحت مكة ودخلها ابن عمر مع رسول الله ﷺ ، وفي مواسم الحج التي تلت ذلك الفتح العظيم ؛ كان إذا مرّ بربعهم ^(١) وقد هاجر منه غمض عينية ولم ينظر إليه ولم ينزله قط ^(٢) ؛ فعند البيهقي في الزهد : « ما ذكر ابن عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بكى ، ولا مرّ على ربعهم إلا غمض عينية ^(٣) » .

وهذا يكشف لنا عن جانب مهم من جوانب شخصية عبد الله بن عمر ، فهو ذو حس مرهف وقلب رقيق سريع الانفعال ، ولذلك كان يغمض عينية عندما يرى ذلك المنزل الذي عاش فيه طفولته ، ووقف يوم الهجرة ينظر إليه مودعاً بلهفة وحنان . أما بعد أن اكتسب فضل الهجرة وأجرها الكبير عند الله تعالى ؛ فلا يريد أن يعيد لنفسه التوجع

(١) ربعهم : منزلهم .

(٢) حلية الأولياء (١ : ٣٠٣) .

(٣) الاصابة (٢ : ٣٤٢) .

والأسى ، والاستجابة لهذا الميل الفطري في الانسان ؛ وهو حبه لوطنه وتعلقه بأرضه وترابه . إن الفكرة تنتصر في عقل ابن عمر فيغض عينيه ويأبى النظر والنزول ويتابع مسيره بثبات وإقدام ؛ لقد تعلم من الإسلام أن المبادئ أغلى وأعز من طين الأرض ومتاعها ، وعرف أن أجر الهجرة إلى الله هو الباقي وكل ما على الأرض زائل .

ولقد بقي رضي الله عنه وفيأ لهجرته يدعو الله تعالى فيقول : « اللهم لا تجعل مني بمكة ^(١) » ، ويوصي ابنه سالماً وهو على فراش الموت فيقول : « يا بني إن أنا مت فادفني خارجاً من الحرم ، فإني أكره أن أدفن فيه بعد أن خرجت منه مهاجراً ^(٢) » .

صحبته

اكتسب عبد الله بن عمر رضي الله عنها شرف الهجرة ، واكتسب شرف الصحبة ، وكان من أولئك الشباب الذين انتسبوا إلى مسجد الرسول ﷺ في المدينة وهم في ربيع الشباب فتوة ونضارة ، وكان رسول الله ﷺ يرعى هذا الجيل من الشباب ، ويشجعهم ويعلمهم ، ويخصهم بالنصائح والوصايا ، ولقد قدم هذا الجيل من الجهاد والتضحيات

(١) الطبقات (٤ : ١٨٥) ، وقد روى الامام أحمد عن ابن عمر ، أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل مكة قال : « اللهم

لا تجعل منا يافا يا حتى نخرجنا منها » المسند (٢ : ١٢٥) .

(٢) الطبقات (٤ : ١٨٧) .

ما تحتاجه الأمة المختارة لحل رسالة السماء ، وتخرج من صفوفهم العلماء والقادة والحكام .

وكان ابن عمر التلميذ النجيب الذي يرقب رسول الله ﷺ بحب وإعجاب ، فيحفظ ما يرى من أفعاله وما يسمع من كلامه ، ويسأل عما فاته إذا غاب ، ويلزم المسجد فلا يكاد يفارقه ، حتى قيل : كان ابن عمر من أحلاس^(١) المسجد يأوي إليه ويسكنه^(٢) .

وكانت مكانة أبيه عمر عند رسول الله ﷺ ، وزواج النبي ﷺ من أخته حفصة ؛ يقربانه أكثر من رسول الله ﷺ ، فتتميز صحبته بأنها صحبة ملاصقة ومخالطة لرسول الله ﷺ .

ومع أن تفاصيل حياته كلها تنبع من صحبته ؛ فإننا سنقف مع بعض الأخبار الصحيحة ، نشده فيها قرب الرسول ﷺ يتعلم حكماً ، أو يبرم عهداً ، أو يتلقى أمراً .

فهذا هو في صحبته المبكرة يتصرف تجاه قائده رسول الله ﷺ بكل أدب واحترام ، ويتلقى أمره بالاستجابة والطاعة ، ويلتزم به إلى آخر أيام حياته ؛ روى نافع عن ابن عمر قال : رأيت على عهد رسول الله ﷺ

(١) أحلاس : جمع حلس - بكسر الحاء - وهو من يلزم المسجد .

(٢) حلية الأولياء (٢ : ٧) وجاء في صحيح البخاري : كان ابن عمر وهو شاب أعزب لا أهل له ينام في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم .

كان يدي قطعة إستبرق وكانني لا أريد مكاناً من الجنة إلا طارت بي إليه ، قال ورأيت كأن اثنين أتاني أرادا أن يذهبا بي إلى النار ، فتلقاهما ملك فقال : لا تسرع ، فخلّيا عني ، قال : فقصت حفصة على النبي ﷺ رؤياي ، فقال رسول الله ﷺ : « نِعِم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل » . قال : فكان عبد الله يصلي من الليل فيكثر^(١)

وعن ابن عمر رضي الله عنهما ؛ أنه دخل على رسول الله ﷺ ، فألقى إلى وسادة حشوها ليف فلم أقعد عليها ، بقيت بيني وبينه^(٢) .

وعنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كساه حلة سبراء^(٣) وكسا أسامة قبطيتين^(٤) ثم قال : « ما مس الأرض فهو في النار »^(٥) .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : مررت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي إزار ي استرخاء ، فقال : « يا عبد الله ارفع إزارك » فرفعته ، ثم قال : « زد » فزدت ، فما زلت أتحراها بعد . فقال بعض القوم : إلى أين ؟ فقال : إلى أنصاف السابقين^(٦) .

(١) الطبقات (٤ : ١٤٧) .

(٢) حياة الصحابة (٢ : ٧٥٥) .

(٣) نوع من البرود يخاطه حرير .

(٤) القبطية ثوب من ثياب مصر رقيقة بيضاء وكانه منسوب إلى القبط .

(٥) الطبقات (٤ : ١٤٦) .

(٦) رواه مسلم في كتاب اللباس والزينة .

وعنه ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو تركنا هذا الباب للنساء » قال نافع : فلم يدخل منه ابن عمر حتى مات^(١) .

ونقرأ حديثاً مشهوراً في الناس ابن عمر لهلال شهر رمضان ؛ فنجده شاباً متحمساً للعبادة قريباً من رسول الله ﷺ يخبره برويته للهلال ، فيشق النبي ﷺ بأمانيه وعدالته فيصوم ويأمر الناس بالصيام ؛ فعن ابن عمر قال : « تراهي الناس الهلال ، فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم أنني رأيته فصامه وأمر الناس بصيامه^(٢) » .

ويكلفه النبي ﷺ بهمة دقيقة ، وهي إرقاة الخمر الموجودة لدى الناس في المدينة بعد أن نزلت آية التحريم ، ويعلمه ﷺ كيف يشق زقاق الخمر ، ويأمر بعض أصحابه أن يذهبوا معه ليساعدوه في إزالة المنكر ، ولا شك أن ابن عمر كان حديث عهد بالشباب حين تم تكليفه بهذه المهمة ، ولكن الرسول المعلم صلى الله عليه وسلم كان يعرف في تلميذه النجاة والدقة في تنفيذ ما يؤمر به ، ولنصغ إليه وهو يقول :

« خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المربد فخرجت معه ، فكنت عن يمينه ، وأقبل أبو بكر فتأخرت له ؛ فكان عن يمينه و كنت عن يساره ، ثم أقبل عمر فتنجيت له فكان عن يساره ، فأقى رسول الله

(١) سير النبلاء (٣ : ١٤٢) . والباب الذي خصصه الرسول صلى الله عليه وسلم للنساء هو أحد أبواب المسجد النبوي .

(٢) أخرجه أبو داود بسند صحيح .

صلى الله عليه وسلم المربد ، فإذا بأزقاق على المربد فيها خمر ، قال ابن عمر :
فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة - قال ابن عمر : وما عرفت
المدينة إلا يومئذ - فأمر بالأزقاق فشقت ثم قال : « لعنت الخمر ، وشاربها ،
وساقيا ، وبائعها ومبتاعها ، وحاملها والمحمولة إليه ، وعاصرها ومعتصرها ،
وأكل ثمنها »^(١) .

ويقول : « أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن آتية بمدينة
- وهي الشفرة - فأتيتها بها ، فأرسل بها فأرهفت ، ثم أعطانيها وقال :
« أغد علي بها » ففعلت ، فخرج بأصحابه إلى أسواق المدينة وفيها أزقاق
خمر قد جلبت من الشام ، فأخذ المدينة مني فشق ما كان من تلك الأزقاق
بجذرتيه ، ثم أعطانيها ، وأمر أصحابه الذين كانوا معه أن يمضوا معي وأن
يعاونوني ، وأمرني أن آتي الأسواق كلها فلا أجد فيها زق خمر إلا
شققته ، ففعلت فلم أترك في أسواقها زقا إلا شققته »^(٢) .

ويرى رؤيا فيفسرها النبي صلى الله عليه وسلم بما يلخص حياة ابن عمر
من ولادته حتى وفاته فيقول : « إن عبد الله رجل صالح »^(٣) ، وسبقني

(١) مسند الامام أحمد (٢ : ٧١) .

(٢) » » » (٢ : ١٣٢ - ١٣٣) .

(٣) الصالح : هو الغائم بحقوق الله تعالى وحقوق العباد . عن مرآة

الجنان (١ : ١٥٥) .

الرجولة مع الصلاح عنواناً لجميع أعماله ومواقفه ؛ قال عبد الله : « رأيت في المنام كأن بيدي قطعة من إستبرق ولا أشير بها إلى مكان من الجنة إلا طارت بي إليه . فقصتها حفصة على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « إن أخاك رجل صالح » أو « إن عبد الله رجل صالح »^(١) .

ويبشره النبي صلى الله عليه وسلم أنه مع أبيه في الجنة ؛ فتكون له أجل بشرى ؛ فعن ابن عمر رضي الله عنها قال : كنت شاهد النبي صلى الله عليه وسلم في حائط نخل فاستأذن أبو بكر ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ائذنوا له وبشروه بالجنة » ثم عمر كذلك ، ثم عثمان فقال : « بشروه بالجنة على بلوى تصيبه » فدخل يبكي ويضحك ، فقال عبد الله : فأنا يا نبي الله ، قال : « أنت مع أبيك »^(٢) .

وبوصيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبقى كلماته الحبيبة ترن في أذنيه ، فيجدد العهد على المضي في بيعته بكل صدق ووفاء :

عن ابن عمر قال : قال لي النبي صلى الله عليه وسلم : « أحب في الله ، وأبغض في الله ، ووال في الله ، وعاد في الله ، فإنك لا تتألف ولا ية الله إلا بذلك ، ولا يجد رجل طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصيامه حتى يكون ^{كذلك} »^(٣) .

(١) رواه البخاري : مسلم . (٢) سير أعلام النبلاء (٣ : ١٣٩)

(٣) حلية الأولياء (١ : ٣١٢) .

وقال لي : « يا ابن عمر إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء ، وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح ، وخذ من صحتك لسقمك ومن حياتك لموتك ، فإنك يا عبد الله بن عمر لا تدري ما اسمك غداً » قال : وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض جسدي . فقال : « كن في الدنيا غريباً أو عابراً سبيل ، وعد نفسك في أهل القبور ^(١) » .

ثم قال لي : « يا عبد الله بن عمر ، فإنه ليس ثم دينار ولا درهم ، إنما هي حسنات وسيئات ، جزاء بجزاء ، وقصاص بقصاص ، ولا تتبرأ من ولدك في الدنيا فيتبرأ الله منك في الآخرة ، فيفضحك على رؤوس الأشهاد ، ومن جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة ^(٢) » .

وعن الأوزاعي ؛ أن ابن عمر قال : « لقد بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما نكثت ولا بدلت إلى يومي هذا ، ولا بايعت صاحب فتنة ، ولا أيقظت مؤمناً من مرقدته ^(٣) » .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الخلق إليه ، ويظهر هذا الحب في اتباعه لأثار النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي كلامه الصادق ، ويغلبه حبه وشوقه فيعبر عنه بالبكاء والدموع :

(١) حلية الأولياء (١ : ٣١٢) .

(٢) اسد الغابة (٣ : ٣٤٤) .

(٣) الطبقات (٤ : ١٦٤) .

ففي صحيح البخاري؛ أن عبد الله بن عمر قال : « ربما ذكرت قول الشاعر - وأنا أنظر إلى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يستسقي ، فما ينزل حتى يجيش كل ميزاب - :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل
وهو قول أبي طالب (١) .

وروي أن عبد الله بن عمر خدّرت رجله فقليل له : أذكر أحب الناس إليك يزل عنك . فصاح يا محمداه ، فانتشرت (٢) .

وكان يقول : « مارأيت أشجع ، ولا أنجد ، ولا أجود ، ولا أَرْضَى من رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) » .

وعن عاصم بن محمد عن أبيه قال : ما سمعت ابن عمر ذا كرا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ابتدرت عيناه تبكيان (٤) .

(١) جامع الاصول (٦ : ٢١٣) وقال في شرحه « يجيش » : جاش الوادي إذا دفق جريه وزخر ، « ثمال » : ملجأ « عصمة » : أي يستوثقن به ويركن اليه .

(٢) الشفاء للقاضي تياض (٢ : ٥٣) و « خدّرت » فترت عن الحركة وضعت باجتماع عصيها . « يزل عنك » : ينزل عنك هذا الانقباض بسبب ما يترتب على ذكر المحبوب من الانبساط . « يا محمداه » : كأن ابن عمر قصد اظهار المحبة في ضمن الاستغاثة « فانتشرت » : أي امتدت لزوال خدرها . عن شرح ملا علي القاري للشفاء (٢ : ٢٢) .

(٣) (٤ : ١٦٨) الطبقات (٤ : ١٦٨) .

مشاهدته مع النبي صلى الله عليه وسلم

كانت مهمة النبي صلى الله عليه وسلم تبليغ رسالة ربه إلى الناس جميعاً، ولكن قريشاً وقفت بكل عناد في طريق الدين الجديد، وناصبت الرسول العداء في مكة طيلة ثلاث عشرة سنة .

وبعد الهجرة ظلت قريش تطارد الدعوة ، وانضم إلى معسكرها اليهود والمنافقون والمشركون في المدينة ؛ فكان لابد من إعداد القوة التي تحمي العقيدة وتوجد لها جواً من الحرية والأمن ، وتصون كرامة المؤمنين ؛ لذلك كله جاء الإذن من الله تعالى بالقتال ، ووجد الرسول صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار الحماس والاندفاع ، فحملوا السلاح وانتظموا تحت راية الرسول القائد صلى الله عليه وسلم في كتاب متروعة وغاية كل واحد منهم إعلاء كلمة الله، وتحقيق النصر والعزة أو نيل الشهادة والجنة .

وكانت الرغبة في الجهاد والشوق إلى الشهادة ؛ تشمل حتى الصغار فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعرض الجيش، ويميز من الغلمان من بلغ الخامسة عشرة ، ويرد من هم أقل عمراً من ذلك ، وكان عباده ابن عمر رضي الله عنهما في مقدمة الغلمان المتحمسين للجهاد في سبيل الله ،

ولذلك نراه يعرض نفسه يوم بدر وأحد ، فيرده الرسول صلى الله عليه وسلم رحمة به وإشفافاً عليه ، ولا يميزه إلا يوم الخندق حيث أتم الخامسة عشرة من عمره ، وبعد هذا القبول لم يتخلف عن أي غزوة أو مشهد .

عرضه على الرسول صلى الله عليه وسلم في بدر وأحد

ففي بدر سار النبي صلى الله عليه وسلم - حتى بلغ « بيوت السقياء » وهي آبار عذبة الماء على نحو ميل من المدينة ، فنزل بها وضرب عسكره هناك ؛ ثم عرض الجند ، فرد منهم صغارهم الذين لا يَتَّقُونَ على حمل السلاح ؛ فكان ممن ردهم : عبد الله بن عمر ، ورافع بن خديج ، والبراء بن عازب ^(١) ، وأسيّد بن ظهير ، وزيد بن الأرقم ، وزيد بن ثابت ، وعرض عُمَيْرُ بْنُ أَبِي وقاص فاستصغره ، فبكى عمير ، فأجازه وسيّره مع الجيش ^(٢) . ومحدثنا ابن عمر عن حزنه وسهره لعدم إجازته ورده

(١) عن البراء قال : عرضت أنا وابن عمر يوم بدر فاستصغرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . سير النبلاء (٣ : ١٣٩) .

(٢) روى الواقدي عن سعد بن أبي وقاص أنه قال : رأيت أخي عمير ابن أبي وقاص قبل أن يعرضنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر يتوارى فقلت : مالك يا أخي ؟ قال : إني أخاف أن يراني رسول الله فيستصغرني فيردني ، وأنا أحب الخروج لعل الله أن يرزقني الشهادة . قال : فعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستصغره ، فقال له : « ارجع » . فبكى عمير ، فأجازه رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فكان سعد يقول : فكننت أهدد له حمائل سيفه من صغره ، فقتل ببدر وهو ابن ست عشرة سنة . عن الأصباط (٣ ، ٣٦) والطبقات (٣ : ١٤٩) .

فيقول : عُرِضَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ بَدْرٍ فَاسْتَصْغَرَنِي فَلَمْ يَقْبَلْنِي ، فَمَا أَتَتْ عَلَيَّ لَيْلَةٌ قَطُّ مِثْلُهَا مِنَ السَّهْرِ وَالْحُزْنِ وَالْبُكَاءِ ، إِذْ لَمْ يَقْبَلْنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(١) .

وفي أحد مَضَى الرسول صلى الله عليه وسلم بالجيش حتى أتى مكاناً يقال له « الشيخين » فعسكر به ، ثم استعرض الجيش فرد من استصغره من جنوده وهم : عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وزيد بن ثابت ، وعمر بن حزم ، وأسامة بن زيد ، وزيد بن أرقم ، والبراء بن عازب ، وأسيد ابن ظهير ، وأجاز صلى الله عليه وسلم سَمُرَةَ بن جندب الفزاري ، ورافع بن خديج أخا بني حارثة ، وهما ابنا خمس عشرة سنة ، وكلت قد ردهما ، فقليل له يا رسول الله إن رافعاً رامٍ ، فأجازه . فلما أجاز رافعاً ، قيل له ، يا رسول الله ، فإن سَمُرَةَ يصرع رافعاً ، فأجازه ^(٢) .

غزوة الخندق (أول مشاهدته)

إن أول مشاهد عبد الله بن عمر - رضي الله عنها - الخندق ^(٣) ، أجازه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن بلغ من العمر خمس عشرة سنة ؛ فعن نافع عن ابن عمر أنه قال : عُرِضَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) حياة الصحابة (١ : ٦٦٩) .

(٢) سيرة ابن هشام (٤ : ٦٦) .

(٣) أسد الغابة (٣ : ٣٤١) .

عليه وسلم يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة فلم يجزني وعُرضت عليه يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة فأجازني^(١) .

وقد أصاب المسلمين كربٌ شديد في هذه الغزوة ؛ ولكنها انتهت أخيراً بإخفاق الأحزاب ورحيلهم عن المدينة دون أن يحققوا ما أرادوا من القضاء على المسلمين ودعوتهم ، وتفرقت القبائل وتفرق اليهود بسبب تأييد الله للمسلمين وثباتهم وطاعتهم لقائدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبسبب مسعى نعيم بن مسعود في تشكيك كل فريق بنيات الفريق الآخر .

غزوة بني قريظة

وفي اليوم التالي لرحيل الأحزاب ، أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذناً ، فأذن في الناس ، من كان سامعاً مطيعاً ، فلا يصلين العصر إلا ببني قريظة^(٢) ، وذلك لتصفية الحساب مع هذه القبيلة اليهودية التي خانت وغدرت بالمسلمين ، وعرضتهم للخطر الجسيم .

واشترك عبد الله بن عمر في هذه الغزوة وروى لنا كيف امتثل الصحابة أمر النبي صلى الله عليه وسلم في الخروج إلى بني قريظة ؛ أخرج

(١) متفق عليه ، ولهذا لما بلغ نافع عمر بن عبد العزيز هذا الحديث قال : إن هذا الفرق بين الصغير والكبير ، ثم كتب به إلى الآفاق .

(٢) سيرة ابن هشام (٢ : ٢٣٤) .

البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب : « لا يصلين أحدٌ العصرَ إلا في بني قريظة » فأدرك بعضهم العصر في الطريق ، فقال بعضهم : لا نصلي العصر حتى نأتيها . وقال بعضهم : بل نصلي ، لم يرد منا ذلك . فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يعنف واحداً منهم .

وقد دام حصار المسلمين لليهود بني قريظة خمسة وعشرين يوماً استسلم اليهود بعدها .

غزوة الحديبية

وشهد عبدالله بن عمر غزوة الحديبية ^(١) ، وبإيعاز رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت في سبيل الله حتى قبل أن يبايع أبوه عمر ، ففي البخاري عن ابن عمر : أن الناس كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية تفرقوا في ظلال الشجر ، فإذا الناس محدقون بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا عبدالله انظر ما شأن الناس قد أحدقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجدهم يبايعون فبايع ، ثم رجع إلى عمر فخرج فبايع .

(١) الحديبية : بئر على مرحلة من مكة المكرمة ، وكانت غزوتها في ذي القعدة سنة ٦ من الهجرة النبوية ، وكانوا يريدون العمرة ، فنعهم المشركون واصطلحوا على شروط ، ثم عادوا في العام القابل فاعتصموا .

وكانت البيعة بسبب عثمان رضي الله عنه ، وذلك أنه بعثه الى مكة ليخبر قريشاً أنه لم يأت لحرب فاحتبسته قريش عندها ، وبلغ الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قُتل ، فدعا الناس الى البيعة على مناجزة القوم ثم بلغه أن الذي ذكر من أمر عثمان باطل .

وقد روى لنا عبدالله كيف بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عثمان ، فقال : بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان فضرب بإحدى يديه على الأخرى ^(١) .

وذكر ابن قتيبة في كتابه المعارف : أن أول من بايع النبي صلى الله عليه وسلم عبدالله بن عمر رضي الله عنهما .

فتح خيبر

ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية مكث عشرين يوماً أو قريباً من ذلك ثم خرج إلى خيبر ^(٢) ، وهي التي وعده الله إياها ^(٣)

(١) البداية والنهاية (٤ : ١٦٨) .

(٢) لفتح خيبر من المدينة على نحو مائة ميل الى الشمال ، وكانت واحدة كبيرة خصبة ذات حصون ومزارع وتخل كثير .

(٣) البداية والنهاية (٤ : ٧٨١) .

قال تعالى : (وعدكم الله مغنم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه وكف أيدي الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطاً مستقيماً^(١)) وكان اليهود فيها يتآمرون مع يهود وادي القري لغزو المدينة ، فبادرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالغزو في عقر دارهم ، وأوقع الله الرعب في قلوبهم وجعلها غنيمة للمسلمين .

وكان عبدالله بن عمر بن حنظلة حضر هذه الغزوة ؛ إذ لم يغيب عن خير من شهد الحديبية إلا جابر بن عبدالله^(٢) ، وأصبح لابن عمر أموال في خير يتفقدوها كل عام ، وهي نصيبه الذي قسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم له . ونقل عن « عبدالله » قوله : ماشعنا - يعني من التمر - حتى فتحنا خير^(٣) .

إلى مؤتة

كانت سرية مؤتة^(٤) أنشأها من آثار دعوة الملوك إلى الاسلام ، فقد كان من ضمن رسل النبي صلى الله عليه وسلم الحارث بن عير الأزدي وكان

(١) الفتح : ٢٠ ، فعجل لكم هذه : يعني فتح خير .

(٢) البداية والنهاية (٤ : ٢٠٢) .

(٣) رواه البخاري (١٧٨ : ٥) .

(٤) وقد سماها البخاري وابن اسحاق « غزوة مؤتة » ، لكنرة

جيش المسلمين فيها وإن لم يخرج فيها النبي صلى الله عليه وسلم . و « مؤتة » قرية من قرى البلقاء في حدود الشام من ناحية الحجاز قرب البحر الميت .

رسولاً الى أمير بصرى ، فلقبه شرحبيل بن عمرو الغساني - أحد عمال
الروم على الشام - ولما علم بمهمته أوثقه ثم قدمه فضرب عنقه . وكانت
هذا العمل الشاذ شديداً على رسول الله ، واعتبره اعتداء مباشر على الاسلام ،
فندب المسلمين إلى القتال والانتقام .

واشترك عبدالله بن عمر في هذه السرية وروى لنا خبر تعيين الرسول
صلى الله عليه وسلم لأمرأ مؤتة ؛ ففي صحيح البخاري عن ابن عمر قال :
أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة مؤتة زيد بن حارثة ، فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن قتل زيد فجعفر ، وإن قتل جعفر
فعبدالله بن رواحة » .

وكان عدد المسلمين في مؤتة ثلاثة آلاف ، وعدد الروم مائة ألف
وانضم اليهم مائة ألف من العرب ، فتردد المسلمون في الحرب ، وأفاموا
على معان ليلتين ينظرون في أمرهم ، ولكن عبدالله بن رواحة شجع
الناس فقال : يا قوم إن التي تكرهون لتي خرجتم تطلبون ، الشهادة ،
وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، وما نقاتلهم إلا بهذا الدين
الذي أكرمنا الله به ، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسينين : إما ظهور
وإما شهادة ، فقال الناس : قد والله صدق ابن رواحة ، فمضى الناس^(١) ،
والتقوا بجمع هرقل من الروم والعرب ، وكانت الراية مع زيد بن

(١) البداية والنهاية (٤ : ٢٤٣) .

حارثة فقاتل حتى قتل ، ثم أخذها جعفر بن أبي طالب فقاتل حتى قتل ،
ثم أخذها عبدالله بن رواحة فقاتل حتى قتل ، واصطلع الناس على خالد
ابن الوليد ؛ فلما أخذ الراية دافع القوم وانحاز بالناس حتى انصرف (١) .
ولقد قاتل المسلمون في هذه المعركة ببسالة وشجاعة فائقة ، وكان
القتال قاسياً ومريراً بسبب الفارق الكبير بينهم وبين عدوهم في العدد ،
ولذلك فقد المسلمون أمراءهم الثلاثة في اليوم الاول ، ونقل ابن عمر
مشاهد مؤثرة من أرض المعركة رآها رأي العين ؛ قال : كنت فيهم في
تلك الغزوة فالتمسنا جعفر بن أبي طالب فوجدناه في القتلى ووجدنا في
جسده بضعا وتسعين من ضربة ورمية (٢) ، وزاد البخاري في رواية
أخرى عن ابن عمر : « ليس منها شيء في دبره » . وقد أخذ جعفر
اللواء يمينه فقطعت ، فأخذه بشاله فقطعت ، فاحتضنه بعضديه حتى
قتل (٣) . وبقي هذا المشهد مطبوعاً في فكر ابن عمر وقلبه ، فكان إذا
حيى ابن جعفر قال : السلام عليك يا ابن ذي الجناحين (٤) .

ندامة ابن عمر وأصحابه على الفوار يوم مؤتة

وقبل انصراف خالد بن الوليد بالجيش ، فر عبدالله بن عمر مع

(١) البداية والنهاية (٤ : ٢٤٥) .

(٢) رواه البخاري .

(٣) البداية والنهاية (٤ : ٢٤٤) .

(٤) المصدر السابق (٤ : ٢٤٦) .

بعض الناس^(١) وعادوا الى المدينة ؛ فلتقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه ، ولقيهم الصبيان يشتدون فجعوا لم يحشون عليهم بالتواكب ، ويقولون : يا فرار فررغم في سبيل الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء الله عز وجل^(٢) »
وانسمع ابن عمر يحدثنا عن فراره وندمه فيقول :

كنت في سرية من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم فخاص^(٣) الناس حصة ، وكنت فيمن خاص ، فقلنا : كيف نصنع ؟ وقد فررنا من الزحف وبؤنا بالغضب ، ثم قلنا : لو دخلنا المدينة فبتنا ، ثم قلنا : لو عرضنا أنفسنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن كانت لنا توبة وإلا ذهبنا ، فأتيناه قبل صلاة الغداة ، فخرج فقال : « من القوم ؟ » قال قلنا : نحن الفرارون . فقال : « لا ، بل أنتم الكرارون ، أنا فتكم وأنا فئة المسلمين » .

(١) رجح ابن كثير أن يكون الفرار وقع من طائفة من الجيش انهزموا من كثرة جموع العدو فقال : ومثل هذا يسوغ الفرار على ما قد تقرر ، فلا فر هؤلاء ثبت بأقبيهم وفتح الله عليهم ، وتخلصوا من أيدي أولئك وقتلوا منهم مقلة عظيمة كما ذكره الواقدي وموسى بن عقبة . البداية والنهاية (٤ : ٢٤٩) .

(٢) البداية والنهاية (٤ : ٢٤٨) .

(٣) خاص الناس : جالوا جولة يطلبون الفرار .

قال : فأتيناه حتى قبلنا يده ^(١) .

وفي رواية ثانية قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية فلما أقينا العدو انهزمنا في أول غادية ، فقدمنا المدينة في نفر ليلافاخقيناه ثم قلنا : لو خرجنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتذرنا اليه ، فخرجنا اليه ، فلما لقيناه ، قلنا نحن الفرارون يا رسول الله فقال : « بل أنتم العكارون ^(٢) وأنا فئكم » ، قال الأسود : - أحد رواة الحديث - « وأنا فئة كل مسلم ^(٣) » .

فتح مكة

وشهد ابن عمر الفتح العظيم - فتح مكة - فدالت دولة الشرك والأصنام وصعد بلال على سطح الكعبة يعلن كلمة الحق والايان ويدعو المسلمين الى الصلاة .

وهذا عبدالله بن عمر يروي لنا خبر دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة عام الفتح ، ويحدد المكان الذي دخل منه ، فيقول : لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح رأى النساء يلطن وجوه الحيل ، فتبسم الى أبي بكر وقال : « يا أبا بكر ، كيف قال حسان ؟ » فأبشده أبو بكر رضي الله عنه :

(١) حياة الصحابة (٢ : ٥٦) وقال : أخرجه الامام أحمد .

(٢) العكارون : أي الكرارون الى الحرب والمطافون نحوها .

(٣) حياة الصحابة (٢ : ٥٦) وقال : أخرجه الامام أحمد .

عدمنا خيلنا إن لم تزوها تثير النقع موعدها كدء
 قطل جيانا متطرات يلطمهن بالخمير النساء
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ادخلوها من حيث قال
 حسان »^(١)

ويصف لنا تحطيم الأصنام فيقول : لما دخل رسول الله صلى الله عليه
 وسلم مكة وجد بها ثلاثمائة وستين صنماً ، فأشار إلى كل صنم بعضاً وقال :
 « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً » ، فكان لا يشير إلى
 صنم إلا ويسقط من غير أن يسه بعضاه^(٢) .

ويبقى بصر ابن عمر يلاحق خطوات الرسول الكريم لا لمجرد
 الاستطلاع أو الوصف ؛ ولكن للتأسي بما يفعله رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ، وسوف نرى عبدالله بن عمر حريصاً على تتبع آثار النبي
 وأفعاله حتى آخر لحظة من حياته ، ففي البخاري عن نافع عن ابن عمر ،
 أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل يوم الفتح من أعلى مكة على
 راحلته مردفاً أسامة بن زيد ، ومعه عثمان بن طلحة من الحجبة^(٣) حتى

(١) البدئية والنهاية (٤ : ٢٩٤) .

(٢) المصدر السابق (٤ : ٣٠٢) .

(٣) الحجبة : جمع حاجب ، وهو سادن الكعبة الذي يتولى حفظها
 ويبيده مفتاحها .

أناخ في المسجد ، فأمر أن يؤتى بمفتاح الكعبة ، فدخل ومعه أسامة بن زيد ، وبلال ، وعثمان بن طلحة ، فمكث فيه نهاراً طويلاً ثم خرج فاستبق الناس فكان عبدالله بن عمر أول من دخل ، فوجد بلالاً وراء الباب قائماً ، فسأله أين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فأشار له الى المكان الذي صلى فيه . قال عبدالله : ونسيت أن أسأله كم صلى من سجدة ^(١) .

ويراه النبي القائد صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ؛ فيعلن إعجابه به ويثني عليه خيراً ؛ فعن مجاهد قال : شهد ابن عمر فتح مكة وهو ابن عشرين سنة ، وهو على فرس جرور ^(٢) ، ومعه رمح ثقيل ، وعليه بردة خلوت ^(٣) ، قال : فأبصره النبي صلى الله عليه وسلم وهو يجتلي لفرسه ^(٤) فقال : « إن عبدالله ، إن عبدالله » يعني أثنى عليه خيراً ^(٥) .

الى بني جذيمة

وبعد فتح مكة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد - رضي الله عنه - الى بني جذيمة من كنانة ، وكان عبدالله بن عمر

(١) البداية والنهاية (٤ : ٣٠٣) .

(٢) الفرس تزيد على أحد عشر شهراً ، ولا تنقاد ولا تكاد تتبع صاحبا .

(٣) كساء خلوت : لا ينضم طرفاه من صفه .

(٤) يجتلي لفرسه : يقطع له الحلاء وهو الثياب الرطب .

(٥) طبقات ابن سعد (٤ : ١٧٢) .

جندياً في هذه السرية التي كانت مهمتها الدعوة الى الاسلام وتبليغ خبر
الفتح ، ويريوي عبدالله خبر ذلك فيقول :

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد الى بني جذيمة
فدعاهم الى الاسلام ، فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا ، فجعلوا يقولون :
صبانا صبا ، وخالد يأخذهم أسراً وقتلاً ، قال : ودفع الى كل رجل
منا أسيراً ، حتى إذا أصبح يوماً ، أمر خالد أن يقتل كل رجل منا أسيره ،
قال ابن عمر : فقلت : والله لا أقتل أسيري ولا يقتل أحد من أصحابي
أسيره ، قال : فقدموا على النبي صلى الله عليه وسلم فذكروا صنع
خالد ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم ، ورفع يديه : « اللهم إني أبرأ
إليك مما صنع خالد » مرتين ^(١) .

وهذه الحادثة تبرز لنا جانباً مهماً من شخصية ابن عمر ؛ فهو جندي
مطيع يرغب في الجهاد ، ولا يتخلف أو يتباطأ ، ولكنه لا يطيع في
معصية ، كما علمه النبي صلى الله عليه وسلم ، ويحجب سيفه عن القتل إذا
كانت هناك شبهة ، وهذا موقف مبدئي سوف يبقى ابن عمر ملتزماً به ،
مهما كثرت من حوله الأوامر وتعددت المغريات .

(١) البداية لابن كثير (٤ : ٣١٤) والبخاري .

غزوة حنين

وشهد ابن عمر غزوة حنين ^(١) ، وقد بدأت المعركة في هذه الغزوة بالهزيمة ^(٢) وانتهت بالنصر ، ويعود الفضل في كسب النصر الى تأييد الله للمسلمين ، والى ثبات النبي صلى الله عليه وسلم وندائه للناس أن يثبتوا بعد أن فوجئوا بعدوهم ، ولم ينقل لنا أن ابن عمر كان ممن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يضيره ذلك ؛ فالذين ثبتوا أول الأمر لا تتجاوز أحمأزهم ثلاثة عشر ، منهم أبوه عمر . ثم أخذ الناس يثوبون لنبيهم ويعودون الى أرض المعركة حتى نصرهم الله .

وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب جارية من سبي هوازن ، فوهبها لعبدالله ابنه .

قال ابن اسحاق : فحدثني نافع مولى عبدالله بن عمر ، عن عبدالله

(١) واد من أودية تامة .

(٢) وكانت هذه الهزيمة في أول الامر درساً للمسلمين حيث اغتروا بكثرتهم ، فلم تقن عنهم كثرتهم شيئاً وضاعت عليهم الأرض بما رحبت وولوا مدبرين ، ثم رجعوا الى ربهم واستمدوا منه العون والتأييد ، فجاءهم التأييد والمدد القوي وكان النصر والفوز ، رايت المسلمين اليوم يتعظون بهذا الدرس البليغ فلا يفترون بالكثرة ويتركون الاعتماد على الله ، خاصة والكثرة اليوم غداة لاخير فيه ولا قوة .

ابن عمر قال : بعثت بها الى أخوالي من بني جمع ، ليصلحوا لي منها
 ويهيئوها ، حتى أطوف بالبيت ، ثم آتيهم ، وأنا أريد أن أضيها إذا
 رجعت إليها . قال : فخرجت من المسجد حين فرغت ، فإذا الناس
 يشتدون فقلت : ما شأنكم ؟ قالوا : رد علينا رسول الله صلى الله عليه
 وسلم نساءنا وأبناءنا ، فقالت : تلکم صاحبکم في بني جمع ، فاذهبوا
 فخذوها ، فذهبوا إليها فأخذوها ^(١) .

اشتراكه في السرايا

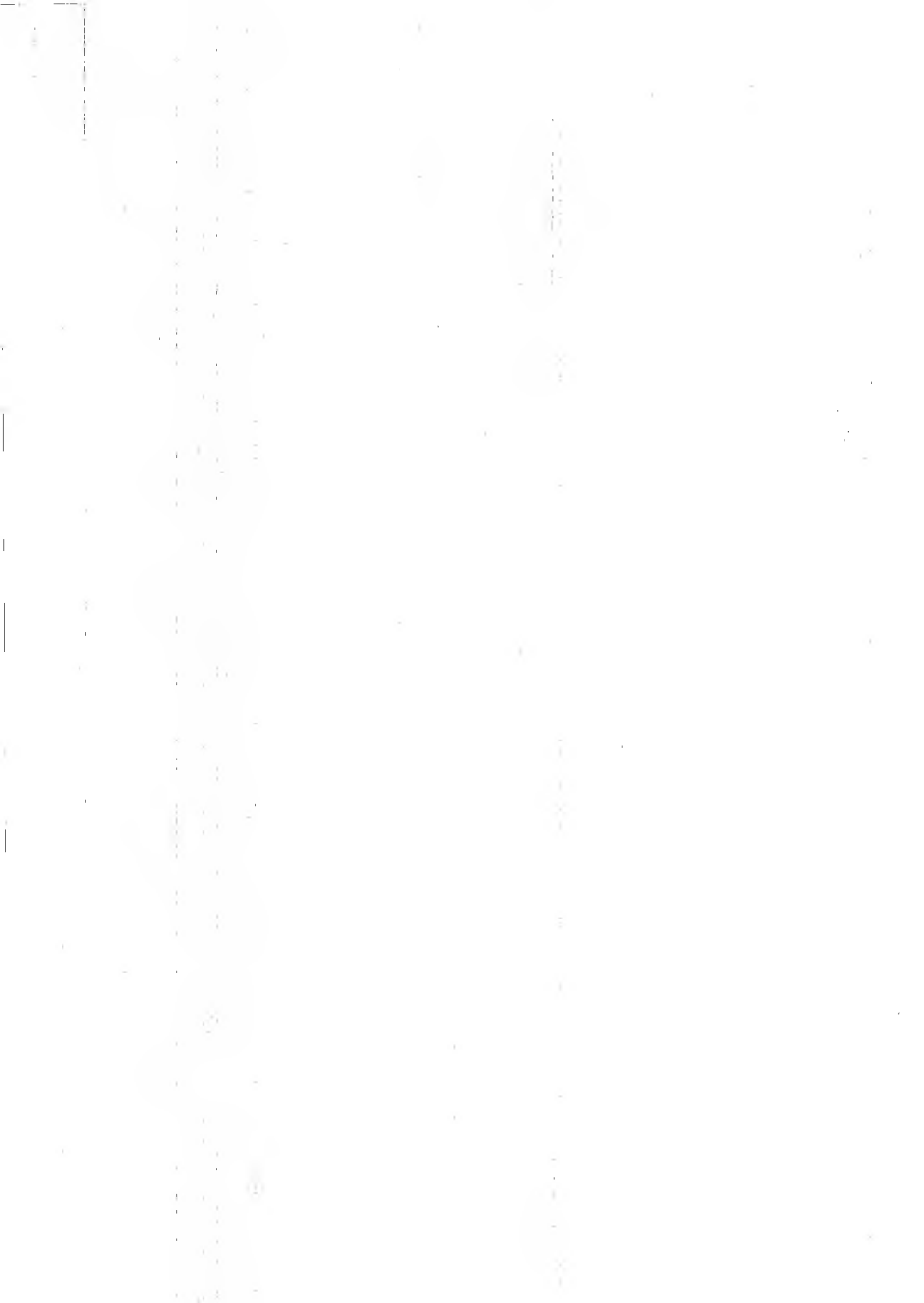
وحضور ابن عمر هذه المشاهد البارزة ، يؤكد ما ذهب إليه كتابُ
 التراجم والسير ؛ أنه شهد الحندق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
 والمشاهد بعدها . وهو الى جانب ذلك كل يتوجه في السرايا على عهد
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولنسمعه يحدثنا عن إحدى هذه
 السرايا فيقول :

« إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية قبل نجد فمهم ابن
 عمر ، وإن سهامهم بلغت اثني عشر بغيراً ، ثم نزلوا سوى ذلك بغيراً
 بغيراً ، فلم يغيره رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٢) .

(١) ابن هشام (٢ : ٤٩٠) .

(٢) الطبقات (٤ : ١٤٦) .

ولقد حرصت على ذكر مشاهد ابن عمر في عهد النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن هذه المشاهد والغزوات أصبحت من أهم ما يذكر في حياة الصحابة الأبرار بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم . ولقد نال ابن عمر من هذا الشرف العظيم القسط الأوفر ، وسوف نراه في الفصول القادمة مجاهداً مثابراً لا يرمي السلاح ، وينضم إلى صفوف الجند وتحت ألوية الفتح كلما نادى منادي الجهاد ، حتى يصبح الدين كله لله .



مَعَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ

● عبدالله وأبو بكر

● عبدالله وأبو هريرة

● عبدالله وعثمان

● عبدالله وعلي

مَعَ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ

عبد الله وأبو بكر

في السنة الحادية عشرة من الهجرة توفي
النبي صلى الله عليه وسلم ، وبويع أبو بكر
الصادق رضي الله عنه بالخلافة ، وقد وقع
في أيامه من الأمور الكبار : تنفيذ بعث
أسامة ، وقتال أهل الردة ، ومانعي الزكاة ،
وقتل مسيلة الكذاب ، وجمع القرآن .

ازدهرت فترة خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه بالأعمال الجليلة
والأحداث الجسيمة ، فقد انقلبت الجزيرة على عقيها ونقضت القبائل
العربية عهودها ومواثيقها بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وظهر
جماعة منعوا الزكاة وآخرون ارتدوا عن الاسلام ، وفريق ثالث
أعلنوا أنهم أنبياء . واستشار أبو بكر الصحابة ، فرأى أكثرهم
الآطاقة لهم مجرب العرب أجمعين ، ولكن أبا بكر صاح مقسماً
ليحاربن الجميع حتى يشوبوا الى الحق أو حتى يموت أبو بكر مجاهداً
في سبيل إعلاء كلمة الله ، فاستجاب الصحابة إلى رأي أبي بكر .

وقد كان لحرص الخليفة الأول رضي الله عنه في تنفيذ بعث أسامة - وكان آخر ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم - وعدم قبول أي مساومة أو تقريط في مبادئ الإسلام وعباداته ؛ أكبر الأثر في إعادة مجد الإسلام وإعلاء شأنه ، وتوحيد الجزيرة مع تمسك الجميع فيها بالدين الحنيف .

وقد شارك عبد الله بن عمر فيها حدث ؛ فكان جندياً في بعث أسامة ومحارباً يقاتل ببسالة في حروب الردة ، ومراقباً للأحداث يرويها عن قرب ومشاهدة .

موقف أبي بكر من مانعي الزكاة

فهذا عبد الله بن عمر يشهد مشاورة أبي بكر المهاجرين والأنصار في قتال مانعي الزكاة ، وينقل لنا موقفاً رائعاً لأبي بكر وخطبة عظيمة قدل على صدق عزيمته وقوته في دين الله .

ولنسمعه يروي لنا ما حدث فيقول :

« لما قبض النبي صلى الله عليه وسلم اشرب النفاق بالمدينة ، وارتمى العرب ، فجمع أبو بكر رضي الله عنه المهاجرين والأنصار وقال : إن هذه العرب قد منعوا شأهم وبعيروهم ورجعوا عن دينهم ، فأسيروا عليّ فما أنا إلا رجل منكم وإني أنقلكم حملاً لهذه البلية ، فأطرقوا طويلاً ، ثم تكلم عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فقال : أرى - والله - يا خليفة

رسول الله أن تقبل من العرب الصلاة وتدع لهم الزكاة ، فإنهم حديثو عهد بجاهلية لم يعدّهم الاسلام ، ، فإما أن يردّهم الله عنه الى خير ولما أن يعز الله الاسلام فنقوى على قتالهم ، فما لبقية المهاجرين والانصار يدان للعرب قاطبة . فالتفت الى عثمان رضي الله عنه فقال مثل ذلك ؛ وقال علي رضي الله عنه مثل ذلك ؛ وتابعهم المهاجرون ؛ ثم التفت الى الانصار فتابعوهم . فلما رأى ذلك سعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ؛ فإن الله بعث محمداً ﷺ والحق قتل شريد ، والاسلام غريب طريد ، قد رث جله ، وقل أهله ، فجمعهم الله بحمد صلى الله عليه وسلم وجعلهم الأمة الباقية الوسطى ، والله لا أبرح أقوم بأمر الله وأجاهد في سبيل الله حتى ينجز الله لنا وعده ويقي لنا بعده ، فيقتل من قتل منا شهيداً في الجنة ويبقى من بقي منا خليفة الله في أرضه ووارث عبادته ، قضى الله الحق ؛ فإن الله تعالى قال - وليس لقوله خُلف - : (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم) والله ؛ لو منعوني عقلاً لما كانوا يعطون رسول الله ﷺ ثم أقبل معهم الشجر والمدر والجن والإنس لجاهدتهم حتى تلحق روعي بالله ، إن الله لم يفرق بين الصلاة والزكاة ثم جمعها ؛ فكبر عمر وقال : والله ؛ قد علمت - والله ؛ حين عزم الله لأبي بكر على قتالهم - أنه الحق^(١) .

(١) حياة الصحابة (١ : ٦٤١ - ٦٤٢) .

صور من معركة اليمامة

ويشهد عبدالله بن عمر معركة اليمامة ^(١) وهي من أعظم المعارك التي خاضها المسلمون ضد المتنبيين ؛ فقد جمع مسيلمة الكذاب أوبعين ألفاً من بني حنيفة وأتباعهم حوله ، وأكثرهم اتبعه عصية حتى إن بعضهم كان يقول : أشهد أن مسيلمة كذاب وأن محمداً صادق ؛ ولكن كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر ! واستطاع مسيلمة أن ييث فيهم الاستبسال والشجاعة دفاعاً عن أنفسهم وأحسابهم ، فكان يوماً هائلاً انكشف فيه المسلمون أول الأمر وكادت الهزيمة تتم لولا رجال من ذوي الحمية والغيرة صرخوا في الناس أن يعودوا إلى القتال وأن يشبثوا فتبعهم فئة ثم كروا بجمعهم ثانية حتى نصرهم الله وقتل مسيلمة .

ولقد أبدى ابن عمر في هذه المعركة بطولة في الحرب ، وطلب الشهادة فلم تكتب له ، ونقل إلينا صوراً رائعة من البطولة والشهادة تدل على قربيه من العدو ، حيث تمتحن النفوس أعظم امتحان .

عن جعفر بن عبدالله بن أسلم الهمداني رضي الله عنه قال : لما كانت يوم اليمامة واصطف الناس للقتال ؛ كان أول الناس جرح أبو عقىل الأنيفي رضي الله عنه ، رُمي بسهم فوقع بين منكبيه وفؤاده ، فشطب

(١) وكان قائد جيش المسلمين خالد بن الوليد رضي الله عنه .

في غير مقتل ، فأخرج السهم - ووهن له شقه الأيسر - لما كان فيه ؛ وهذا أول النهار وجُرَّ إلى الرحل . فلما حيي القتال - وانهمز المسلمون وجازوا رحالهم وأبو عقيل واهن من جرحه - سمع معن بن عدي رضي الله عنه يصيح بالأنصار : الله ! الله ! والكرة على عدوكم ، وأعنتق معن يقدم القوم ، وذلك حين صاحت الأنصار : أخلصونا ! أخلصونا ! فأخلصوا رجلاً رجلاً يميزون . قال عبدالله بن عمر رضي الله عنه : فنهض أبو عقيل يريد قومه فقلت : ما تريد يا أبا عقيل ! ما فيك قتال ! قال : قد نوة المنادي باسمي ، قال ابن عمر : فقلت : إنما يقول : يا للأنصار ! لا يعني الجرحى .

قال أبو عقيل : أنا رجل من الأنصار وأنا أجيئه ولو حبواً . قال ابن عمر : فتحزم أبو عقيل وأخذ السيف بيده اليمنى مجرداً ، ثم جعل ينادي : يا للأنصار ؟ كرة كيوم حنين فاجتمعوا - رحمهم الله - جميعاً يقدمون المسلمين دربة^(١) دوت عدوهم حتى أقحموا عدوهم الحديقة ، فاختلفوا واختلفت السيوف بيننا وبينهم . قال ابن عمر : فنظرت الى أبي عقيل وقد قطعت يده المجروحة من المنكب ، فوقعت الأرض وبه من الجراح أربعة عشر جرحاً كلها قد خلصت الى مقتل ، وقتل عدو الله مسليمة . قال ابن عمر : فوقعت على أبي عقيل وهو صريع

(١) دربة : جراءة وشجاعة ووقفة .

بآخر رمق ، فقلت : أبا عقيل ! فقال : ليك - بلسان ملثات -
 لمن الدبرة ؟ قال : قلت : أبشر ، ورفعت صوتي : قد قتل عدو الله ،
 فرفع أصبعه إلى السماء بحمد الله ومات - يرحمه الله - قال ابن عمر :
 فأخبرت عمر رضي الله عنه بعد أن قدمت خبره كله . فقال : رحمه
 الله ! ما زال يسأل الشهادة ويطلبها . وإن كنت ما علمت من خيار
 أصحاب نبينا ﷺ وقديم إسلام^(١) .

وعن ابن عمر رضي الله عنها قال : وأيت عمار بن ياسر رضي الله
 عنه يوم اليمامة على صخرة ، وقد أشرف يصيح : يا معشر المسلمين !
 أمن الجنة تفرون ؟ أنا عمار بن ياسر ؛ هلموا إلي ! وأنا أنظر إلى أذنه
 قد قطعت فهي تذبذب^(٢) وهو يقاتل أشد القتال^(٣) .

لوم وعتاب

واستشهد زيد بن الخطاب في معركة اليمامة ، ورجع عبدالله بن عمر
 سالماً ، فجعل عمر يؤنب ابنه لماذا لم يستشهد كعمه زيد ، ولنسمع هذا
 الحوار بين الأب المربي والابن الصادق .

(١) الطبقات (٣ : ٧٤) .

(٢) تذبذب: تحرك واضطرب .

(٣) الطبقات (٣ : ٧٤) .

عن سالم قال : قال عمر لعبد الله بن عمر حين رجع : ألا هلكت قبل زيد ؟ ! هلك زيد وأنت حي ؟ ! فقال : قد حرصت على ذلك أن يكون ؛ ولكن نفسي تأخرت ، فأكرمه الله بالشهادة ^(١) . وفي رواية عن سهل قال : ما جاء بك وقد هلك زيد ؟ ألا وارىت وجهك عني ! فقال : سأل الله الشهادة فأعطى ، وجهدت أن تساق إلي فلم أعطها ^(٢) .

ولا شك أنها عظمة الاسلام ، وتربية الرسول صلى الله عليه وسلم التي جعلت من قبائل الجزيرة العربية المتفرقة والمتناحرة أمة الجهاد والتضحية ؛ فأصبحت بحق خير أمة أخرجت للناس ، وكان منها مثل هذا الأب العظيم وهذا الابن المطيع .

لقد تعلم الأب من الاسلام ومن قائده رسول الله ﷺ أن التضحية بالنفس والمال والولد هي سبيل العزة والكرامة ، فلا يكتفي من ابنه حضوره المعركة ورجوعه مع الجيش الغالب المنتصر ... بل يريد شهادته في سبيل الله كعمه زيد بن الخطاب .

فأين نحن اليوم من تلك النفوس الكبيرة ؟ !

لقد رقى الاسلام في قلوبنا وأعمالنا ... وأصبحنا تنافس في إبعاد أبنائنا عن خوض المعارك والحروب ، ونزجهم ليحترقوا في شہوات الحياة وصغائر الأمور ، ونجني معهم في النهاية الذلة والصغار .

(٢٠١) الطبري (٣ : ٢٩٢) .

عبدالله وأبوه عمر

ولي عمر رضي الله عنه الخلافة بعهد
من أبي بكر في جمادى الآخرة سنة ثلاث
عشرة ، فقام بالأمر أتم القيام ، وظهرت
بركة الاسلام ، وكثرت الفتوح في أيامه ؛
ففتحت دمشق والأردن ، والأهواز
والمدائن ، ومصر وغيرها .

وتعتبر هذه الفترة التي حكم فيها عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -
من أخصب فترات حياة « عبدالله » بعد عهد رسول الله ﷺ ، فقد
شارك في الفتوحات الاسلامية ؛ وقدم الشام والعراق والبصرة وفارس
جندياً مجاهداً في سبيل الله وشهد اليرموك وفتح مصر ^(١) .

وكان عبدالله معجباً بعمر ، محباً ، مطيعاً لكل ما يشير به ، متشعباً
بأفعاله ، وفياً لذكراه ، وهذا الارتباط الوثيق بين الابن البار والأب
العظيم جعل ابن عمر يروي لنا الأحاديث الواردة في فضائل أبيه ،
ويرصد خطواته منذ إسلامه حتى استشهاده .

(١) أُنذ الغابة (٣ : ٢٤١ .)

وهمنا ونحن نرقب نشاطات عبدالله في هذا العهد الميمون ؛ أن نرى عمر الخليفة العادل ، المرابي الناجح ، والأب العطوف ، والوالد المسؤول ، وهو يكرم ابنه الأكبر ويهتم بنصحه وإرشاده ، ويغرس في نفسه الجرأة والشجاعة ، والشوق إلى الجهاد ، والحرص على نبيل الشهادة ، ويبعده عن مواطن الشبه ، ويعلمه الورع ، ويزهده في الحرام .

عبدالله وعمر في صحبة النبي صلى الله عليه وسلم

فهذا عبدالله يحدثنا عن تشجيع أبيه له في الإجابة على سؤال الرسول الله صلى الله عليه وسلم إن كان يعلم ، فيقول : « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها ، وهي مثل المؤمن حدثوني ما هي ؟ » قال عبدالله : فوقع الناس في شجر البوادي ، ووقع في نفسي أنها النخلة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « هي النخلة » خاستحييت أن أقول (١) ، قال عبدالله : فحدثت عمر بالذي وقع في

(١) وفي رواية مجاهد عن ابن عمر : « فنظرت فإذا أنا أصفر القوم ..
التخ الحديث ».

ي ؛ فقال : لأن تكون قلتما أحب إليّ من أن يكون لي
كذا وكذا (١) .

ويتقدم ابن عمر النبي صلى الله عليه وسلم ، فيعلمه أبوه أدب الصعبة ؛
عن ابن عمر أنه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفرٍ على بكرٍ
صعب لعمر ، وكان يتقدم النبي صلى الله عليه وسلم ، فيقول له أبوه :
يا عبدالله ! لا يتقدم النبي أحد (٢) .

ويطلب منه عمر أن يطلق زوجته التي يحبها ؛ فيتردد عبد الله في
الاستجابة لهذا الطلب ، ويذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فيأمره
بالطلاق ، ولتسمعه يحدثنا فيقول : كانت تحتي امرأة أحبها ، وكان
أبي يكرهها ، فأمرني أن أطلقها ، فأثيت النبي صلى الله عليه وسلم
فذكرت له ، فقال : « يا عبدالله طلق امرأتك (٣) » .

(١) جامع الأصول (٦ : ٥٧٥) وانظر الحديث وشرحه في سنن
الترمذي (٨ : ٨٠) طبعة خمس .

(٢) أخرجه البخاري . والبكر : الفتي من الإبل .

(٣) رواه أبو داود والترمذي . ومعنى الحديث : أي طلقها مرضاة
لذلك فإنه محق في كراهيتها ، وهذا خاص بعمر رضي الله عنه ، وإلا
فالطلاق لا يجوز إلا لسبب شرعي وليس منه مجرد طلب الوالدين ، عن هامش
الناج (١ : ٣٤٢) .

استئذان عمر في الجهاد

قال ابن عمر : استأذنت عمر في الجهاد فقال : أي بني ، إني أخاف عليك الزنى ؟ فقلت : أو على مثلي تتخوف ذلك ؟ قال : تلقون العدو فيمنحكم الله أكتافهم ، فقتلون المقاتلة ، وتسبون النرية ، وتجمعون المتاع ، فتقام جارية في المغنم فينادى عليها ، فتسوم^(١) بها ، فينكل^(٢) الناس عنك ، ويقولون : ابن أمير المؤمنين ، والله للرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فيها حق ، فتقع عليها فإذا أنت زان !
إجلس^(٣) .

وهذا المنع ربما وقع في أول حكم عمر رضي الله عنه ، ثم رفع وسمح لابن عمر أن يجاهد ، وبعد أن وعى درس أبيه العظيم في الورع ؛ فشهد فتح نهاوند في طائفة من المهاجرين والأنصار مع النعمان بن مقرن أمير الجيش^(٤) . واشترك في فتح مصر واختط بها^(٥) ، وروى عنه أكثر من أربعين نقساً من أهلها^(٦) .

(١) فتسوم ؛ تغالي في ثمنها .

(٢) فينكل : يكتس .

(٣) سيرة عمر لابن الجوزي (ص ١١١) .

(٤) الطبري (٤ : ١١٥) .

(٥) اختط بها : أي بنى داراً .

(٦) سير أعلام النبلاء (٣ : ١٣٨) .

عدوان اليهود على ابن عمر

ويعتدي يهود خيبر على ابن عمر ، فيكون ذلك سبباً مباشراً لإخراجهم من الجزيرة العربية ؛ قال عبد الله : خرجت أنا والزبير والمقداد بن الأسود إلى أموالنا بخيبر تتعاهدنا ، فلما قدمنا تفرقنا في أموالنا ، فعُدي عليّ تحت الليل وأنا نائم على فراشي ، ففدعت^(١) يداي من مرفقي ، فلما أصبحت استصرخ عليّ صاحبائي ، فأتاني فسالاني من صنع هذا بك ؟ فقلت : لا أدري ، قال فأصلحنا من يدي ثم قدما بي على عمر رضي الله عنه ، فقال : هذا عمل يهود . ثم قام في الناس خطيباً فقال : أيها الناس إن رسول الله ﷺ كان عاملاً^(٢) يهود خيبر على أنّا نخرجهم إذا شئنا ، وقد عدوا على عبد الله بن عمر ففدعوا يديه كما قد بلغكم ؛ مع عدوهم على الأنصاري قبله ، لا نشك أنهم أصحابه ليس لنا هناك عدو غيرهم ، فمن كان له مال بخيبر فليلحق به فإنني مخرج يهود ، فأخرجهم^(٣) .

(١) فدعت يداي من مرفقي : زالت المفاصل عن أماكنها .

(٢) عامل : دفع اليهم الأرض يقومون بما يحتاج اليه من عمارة وزراعة .

(٣) سيرة ابن هشام (٢ : ٣٥٧) .

الأب المربي الناصح والابن البار المطيع

ويروي لنا التاريخ دروساً في الزهد والورع لقَّتها عمر لابنه عبدالله،
فتلقاها الابن البار بالطاعة الممزوجة بالحب والتقدير ، وأصبحت من
مروياته التي يعتز بها ويحرص على الوفاء لها ، ولنصفغ إليه وهو يضعها
في سمع الزمن أمانة للأجيال المسلمة من بعده ؛ قال ابن عمر : اشتريت
إِبلاً وارجمعتها إلى الحمى ، فلما سمعت قدمت بها ، قال : فدخل عمر
السوق فرأى إِبلاً سهاناً فقال : لمن هذه ؟ فقيل : لعبدالله بن عمر ،
فجعل يقول : يا عبدالله ! بنح بنح^(١) ابن أمير المؤمنين ! قال : فجثته
أسعى فقلت : مالك يا أمير المؤمنين ؟ قال : ما هذه الإبل ؟ فقلت :
إِبِلٌ أنضاء^(٢) اشتريتها وبعثت بها إلى الحمى أبتغي ما يبتغي المسلمون ،
قال : فقال : ارعوا إِبِل ابن أمير المؤمنين ! اسقوا إِبِل ابن أمير
المؤمنين ! يا عبدالله بن عمر ! اغد على رأس مالك واجعل باقيه في بيت
مال المسلمين^(٣) .

(١) بنح : كلمة تقال لتعظيم الأمر وتثنيته .

(٢) أنضاء : جمع نضو . أي مهزول .

(٣) الرياض النضرة (٢ : ٤٧) .

وقال : شهدت جلولا^(١) ، فابتعت من الغنائم بأربعين ألفاً ،
وقدّمت على عمر ، فقال : يا عبدالله بن عمر لو انطلقني الى النار
كنت لي مفقدي ؟ قالت : نعم ، بكل شيء أملك . قال : فإني
مخاصم ، وكأني بك تباع بجلولاء ، يقولون : هذا عبدالله بن عمر صاحب
رسول الله وابن أمير المؤمنين وأكرم أهله عليه ، وأن يرخصوا عليك
كذا وكذا درهماً أحب اليهم من أن يغلوا عليك بدرهم ، وسأعطيك
من الربح أفضل ما ربح رجل من قريش ، ثم أتى باب صفية بنت أبي
عبيد (زوجة ابن عمر) فقال : أقسمت عليك أن تخرجي من بيتك
شيئاً أو تخرجين منه وإن كنت عنتي طيبة ، قالت : يا أمير المؤمنين ،
لك ذلك .

ثم تركني سبعة أيام ، ثم استدعى التجار ، ثم قال : يا عبدالله بن
عمر إني مسؤول . قال : فباع من التجار متاعاً بأربعمائة ألف فأعطاني
ثمانين ألفاً وأرسل ثلاثمائة وعشرين ألفاً الى سعد^(٢) فقال : أقسم هذا
المال فيمن شهد الواقعة ، فإن كنت أحد منهم مات فابتعت بنصيبه
إلى ورثته^(٣) .

(١) جلولاء : قرية ببغداد قرب خائنين بمرحلة .

(٢) هو سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وكان قائد المعركة .

(٣) سيرة عمر لابن الجوزي (ص ١١٠ - ١١١) .

وروى مالك في الموطأ أنه خرج عبدالله وعبيدالله ابنا عمر في جيش الى العراق ، فلما قفلا مرّا على أبي موسى الأشعري وهو أمير البصرة؛ فرحب بهما وسهل وقال : لو أقدر لكما على أمر أنفعكما به ، ثم قال : بلى ، ها هنا مال من مال الله أريد أن أبعث به الى أمير المؤمنين فأسلفكما ، فبتا عان به متاعاً من متاع العراق ثم تبيعانه بالمدينة فتؤديان رأس المال الى أمير المؤمنين ويكون لكما الربح ، فقالا : وددنا ذلك ففعل ، وكتب الى عمر أن يأخذ منها المال . فلما قدما باعاً فأرجبا ، فلما دفعوا ذلك الى عمر قال : أكل الجيش أسلفه ؟ قالوا : لا . فقال عمر : ابنا أمير المؤمنين أسلفكما ، أدّيا المال وربحه . فأما عبدالله فسكت وأما عبيدالله فقال : ما ينبغي لك يا أمير المؤمنين ، لو نقص هذا المال أو هلك اضمّناه . فقال عمر : أدّياه ، فسكت عبدالله وراجع عبيدالله . فقال رجل من جلساء عمر يا أمير المؤمنين لو جعلته قراضاً^(١) ، فأخذ عمر رأس المال ونصف ربحه وأخذ عبد الله وعبيد الله نصف ربح المال . قالوا : وهو أول قراض في الاسلام^(٢) .

وقال عبدالله بن عمر : دخل أمير المؤمنين عمر ونحن على مائدة ، فأوسعت له عن صدر المجلس ، فقال : بسم الله ثم ضرب يده في لقمة فلقمها ، ثم ثنى بأخرى ، ثم قال : إني لأجد طعم دسم غير دسم اللحم ،

(١) القراض : الشراكة ، وهو الضاربة في لغة أهل الحجاز .

(٢) تاريخ الامم الاسلامية الخصري (٢ : ١٦) .

فقال عبدالله : يا أمير المؤمنين ، إني خرجت الى السوق أطلب السمن لأشتره فوجدته غالياً ، فاشتريت بدرهم من المهزول وجعلت عليه بدرهم مهنأً ، فقال عمر : ما اجتماعا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أكل أحدهما وتصدق بالآخر ، فقال عبدالله : يا أمير المؤمنين ، ولن يجتمعا عندي أبداً إلا فعلت ذلك ^(١) ،

وحق لابن عمر أن يحفظ هذه الدروس وأن يتبه بسمعه وطاعته لأبيه وقد تكاملت جوانب العظمة في شخصيته ؛ فهو عظيم في عدله وحكمه ، وعظيم في زهده وورعه ، وعظيم في مسؤوليته عن بنيته وتربيته لهم .

وصايا عمر لعبدالله

وأوصى عمر ابنه عبدالله أجمل وصية يتركها والد لولده ؛ فقد كتب إليه : أما بعد ، اتق الله فإن من اتقى الله وقاه ، ومن توكل على الله كفاه ، ومن شكر له زاده ، ومن أقرضه جزاه ، فاجعل التقوى عماد قلبك ، وجلاء بصرك ، فإنه لا عمل لمن لا نية له ، ولا أجر لمن لا خشية له ، ولا جديد لمن لا خلق له ^(٢) .

(١) الرياض النضرة (٢ : ٤١) .

(٢) حياة الصحابة (٤ : ٣٤٦) والخلق : البالي .

وأوصاه عند الموت فقال :

يا بني عليك بمخصال الإيمان . قال : وما هن يا أبت ؟
قال : الصوم في شدة أيام الصيف ، وقتل الأعداء بالسيف ،
والصبر على المصيبة ، وإسباغ الوضوء في اليوم الثاني ، وتعجيل الصلاة
في يوم الغيم ، وترك رذعة الحبال ، قال : فقال : وما رذعة الحبال ؟
قال : شرب الخمر ^(١) .

الوداع الأخير

وعندما طعن عمر رضي الله عنه بمخنجر الغدر والحيانة ، وبدأ يعد
للرحيل الى الله عدته ، كان حديثه موجهاً الى ابنه الأكبر عبدالله ،
الجدير بتنفيذ وصيته ، ووفاء دينه ، وترتيب تجهيزه ودفنه :
قال عثمان رضي الله عنه : أنا آخركم عهداً بعمر ، دخلت عليه ورأسه في
حجر ابنه عبدالله بن عمر ، فقال له : ضع خدي بالأرض . قال : فهل
فخذي والأرض إلا سواء ؟
قال : ضع خدي بالأرض لا أم لك - في الثانية أو الثالثة - ثم شبك
بين رجليه ، فسمعته يقول : ويلى ويلى أمي إن لم يغفر الله لي ، حتى
فاضت نفسه ^(٢) .

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٣ : ٣٠٩) .

(٢) الطبقات الكبرى (٣ : ٣٦٠)

وقال لابنه : يا عبدالله بن عمر ، انظر ما عليّ من الدين ؟ فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألف درهم أو نحوه ، قال : إن وفّيت به مال آل عمر فأدّه من أموالهم ، وإلا فسل في بني عدي بن كعب ، فإن لم تف أموالهم فسل في قريش ولا تعدّهم الى غيرهم ^(١) .

ثم قال لعبدالله بن عمر : اضمّنها . فضمّنها ، قال : فلم يدفن عمر حتى أشهد بها ابن عمر على نفسه أهل الشورى وعدة من الانصار ، وما مضت جمعة بعد أن دفن عمر حتى حمل المال الى عثمان بن عفان ، وأحضر الشهود على البراءة بدفع المال ^(٢) . وطلب عمر من عبدالله أن يذهب الى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، ويستئذنها أن يدفن مع صاحبه ... ويثبت له في آخر كلماته ما يفعل به إذا حضرته الوفاة .

وهكذا كان اسم « عبدالله » يتردد على لسان عمر ، وألقابه الحارة والمتلاحقة تنذر بالخطر الشديد ، وعبدالله يسرع في الإجابة حتى كأنه يريد باستجابته الفورية الطلبات أبهى المتابعة ؛ أن يخفف عنه آلام الطعنة الجائفة ، وأن يبعد عن نفسه شبح النتائج المترتبة عليها .

(١) الرياض المنيرة (٢ : ٦٩) ، وقال في تيسير الوصول : خروجه البخاري .

(٢) الطبقات الكبرى (٣ : ١٥٨) .

وبأبي عمر رضي الله عنه أن يستخلف ؛ رغم إلحاق ابنه عبدالله وغيره من الصحابة ، ويتركها شوري في ستة : عثمان ، وعلي ، وطلحة والزبير ، وعبدالرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم ؛ ويذكر عمر ابنه البار « عبدالله » وما بذله في نصرة الاسلام ؛ فيجعل اسمه مع الستة مشيراً وليس منهم ، وهذا تقدير عظيم ، واحترام وإكرام معنوي كبير ، يدل على مكانة عبدالله في نفس أبيه .

بر عبدالله بأبيه وتشبه به

وكان ابن عمر مدحياً بأبيه باراً به ، وحافظاً لوده ، وقاصداً لعمله متشبهاً به ؛ فهذا هو يقول : مارأيت أحداً قط بعد رسول الله ﷺ أجدر ولا أجود من عمر ^(١) .

وكان إذا خرج الى مكة كان له حمار يتروح عليه إذا مل ركوب الراحلة ، وعمامة يشد بها رأسه ، فيبينا هو يوماً على ذلك الحمار إذ مر به أعرابي فقال : ألسن فلان بن فلان ؟ قال : بلى ، فأعطاه الحمار فقال : اركب هذا ، والعمامة وقال : اشدد بها رأسك ، فقال له بعض أصحابه : غفر الله لك ! أعطيت هذا الأعرابي حماراً كنت تروح عليه وعمامة كنت تشد بها رأسك ، فقال : إني سمعت النبي ﷺ يقول :

(١) تهذيب الأسماء واللغات (٩ : ٢) .

« إن من أبر البر صلة الرجل أهل وُدَّ أبيه بعد أن تولى » وإن أباه كان وُدَّاً لعمر رضي الله عنه ^(١).

وأخرج هذا الحديث البخاري بنحوه مختصراً ، وفي حديثه : فقال بعض من معه : أما يكفيه درهمان ؟ فقال : قال النبي ﷺ : « احفظ وُدَّ أبيك لا تقطعه ؛ فيطفيء الله نورك » .

وكان أصحاب عبد الله الذين عرفوه عن قرب يؤكدون تشبهه بأبيه ؛ فعن زيد بن أسلم عن أبيه أنه قيل له : كيف ترى عبد الله بن عمر لو ولي من أمر الناس شيئاً ؟ فقال أسلم : ما رجل قاصد لباب المسجد داخل أو خارج بأقصد من عبد الله لعمل أبيه ^(٢).

وقال أسلم : ما ناقة أضلَّ فصيلة في فلاة من الأرض بأطلب لأثره من ابن عمر لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنها ^(٣).

وقال سعيد بن المسيب :

كان أشبه ولد عمر بعمر عبد الله ^(٤).

فهنيئاً لعبد الله هذا البر ، وهنيئاً له هذا التشبه بأبيه عمر .

(١) حياة الصحابة (٣ : ٧٨) ، وقال أخرجه أبو داود والترمذي ومسلم .

(٢) الطبقات (٤ : ١٥٠) .

(٣) حلية الأولياء (١ : ٣١٠) .

(٤) صفة الصفوة (١ : ٥٦٧) .

عبد الله وعثمان

توفي عمر رضي الله عنه وقد عين الستة
المبشرين بالجنة ؛ ليختاروا من بينهم خليفة
بعد استشارة المسلمين ، فاجتمع هؤلاء
للمشاورة ، واقترح عبدالرحمن بن عوف
أن يخرج أحدهم نفسه ، ويتولى الذي يخرج
مشاورة الناس واختيار الخليفة من بين
الخمسة الآخرين فقبِلوا بذلك ، وعرض عليهم
أن يكون ذلك الشخص فقبِلوا وعاهدوه
على ذلك ، وعاهدوا على الحق والعدل .

واستشار عبدالرحمن الناس واستشار
المرشحين ، ووجد الاجماع يكاد ينعقد على
عثمان أو علي ، فقدم عثمان رضي الله عنه ؛
فكان عند الظن به ما خالف له عهداً ولا
نكث عقداً ولا اقتحم مكروهاً ولا خالف
سنة (١) .

ولي عثمان رضي الله عنه الخلافة اثنتي عشرة سنة ، وقد مضت

(١) انظر تاريخ الطبري (٤ : ١٩٣) ، والعواصم من القواصم (ص
٥٢ - ٥٣) ، والتاريخ الاسلامي (١ : ٢٨٠) للدكتور أحمد شلبي .

السنوات الست الأولى من خلافته والناس لا ينقمون عليه شيئاً^(١) ، وفي الست الأواخر من خلافته ؛ بدأ أصحاب الأهواء وأغراض السوء يتهمونه بأنه استعمل أقاربه وأعظام المال ، وأنه خالف العهد الذي قطعه على نفسه لعبد الرحمن بن عوف والمسلمين عند مبايعته بالخلافة ؛ بأن يسير على سنة النبي ﷺ وسيرة خليفته من بعده .

والذي يهنا هنا فيما حدث من أحداث أدت إلى استشهاد الخليفة المظلوم هو ما يخص عبد الله بن عمر منها .

أثناء الحصار

في سنة خمس وثلاثين هجرية حاصر البغاة عثمان في داره وطلبوا منه أن يخرج نفسه ، وهددوه بالقتل ، فاستشار عثمان ابن عمر ، وكان يدخل على عثمان وهو محاصر ، وطلب منه أن يسمح له بالقتال فأبى ، ولتقرب ابن عمر في هذا الموقف العصيب من حياة عثمان ومن تاريخ الاسلام ، والذي حاكته السيئة اليهودية في الظلام .

فعن نافع ؛ أن ابن عمر دخل على عثمان ، فقال له عثمان : انظر ما يقول هؤلاء ، يقولون : اخلع نفسك أو تقتلك . قال له ابن عمر : أتحل أن أت في الدنيا ؟ قال : لا . قال : هل يزيدون على أن يقتلك ؟ قال : لا . قال : هل يلكون لك جنة أو ناراً ؟ قال : لا . قال : فلا تخلع قميص

(١) تاريخ الخلفاء السيوطي (ص ١٥٦ - ١٥٧)

الله عنك فتكون سنة ، كلها كره قوم خليفتم خلعوه أو قتلوه ^(١) .

وهذا الموقف المبدي الذي يشير به ابن عمر يدل على رأي شديد وفكر ثاقب ؛ نراه يتكامل عندما يعرض على الخليفة المحصور طاعته للقتال ودفع المتأمرين .

قال أبو سلمة بن عبد الرحمن : دخل ابن عمر على عثمان فسلم ثم قال : يا أمير المؤمنين ، صحبت رسول الله ﷺ فسمعت وأطعت ، ثم صحبت أبا بكر فسمعت وأطعت ، ثم صحبت عمر فسمعت وأطعت ، ورأيت له حق الوالد وحق الخلافة ، وها أنا طوع بديك يا أمير المؤمنين فمرفي بما سأئت ، فقال عثمان : جزاكم الله يا آل عمر خيراً مرتين : لا حاجة لي في إراقة الدم ، لا حاجة لي في إراقة الدم ^(٢) .

وفي البداية لابن كثير عن مغازي موسى بن عقبة ؛ أن ابن عمر لم يلبس سلاحه ^(٣) بعد رسول الله ﷺ إلا يوم الدار - في خلافة عثمان -

(١) العواصم من القواصم (ص ١٣٠)

(٢) الرياض النضرة (٢ : ١٦٩) . وسبب هذا المانع من عثمان رضي الله عنه ؛ « أنه اختار أهون الشرين ، فآثر التضحية بنفسه على توسيع دائرة الفتنة وسفك الدماء . وعثمان اغتدى دماء أمته بدمه مختاراً فأحسن الكاثيرون منا جزاءه ، وإن أوروباً تعبدت بشراً بزعم الغداة ولم يكن فيه مختاراً » عن هامش العواصم (ص ١٣٧) .

(٣) يعني لم يلبس سلاحه في الفتن .

ويوم نجدة الحروري^(١) - أيام عبد الله بن الزبير -^(٢) .

وفي طبقات ابن سعد : أن ابن عمر لبس الدرع يوم الدار مرتين^(٣) .

ولكن ابن عمر لم يمنع من استعمال سلاحه فحسب . بل إن الخليفة كلفه بتبليغ إرادته في عدم إراقة الدم للناس ؛ فهذا عبد الله بن عامر بن ربيعة يقول : كنت مع عثمان في الدار ، فقال . أعزم على كل من رأى أن عليه سمعاً وطاعة إلا كف يده وسلاحه ، ثم قال : قم يا ابن عمر - وعلى ابن عمر سيفه متقلداً - فأخبر به الناس ، فخرج ابن عمر والحسن ابن علي ، ودخلوا - أي المحاصرون للدار - فقتلوه^(٤) .

وتأهب ابن عمر واستعداده للقتال يؤكد أنه استشعر من الشوار قتل الخليفة ولنسمع قوله في ذلك :

جاءني رجل في خلافة عثمان فإذا هو يأمرني أن أعتب على عثمان ، فلما قضى كلامه قلت له : إنا كنا نقول ورسول الله ﷺ حي* . أفضل

(١) هو نجدة بن نافع الحنفي الحروري ، أحد زعماء الخوارج قدم مع أناس من الخوارج سنة أربع وستين يمتنون البيت في خلافة ابن الزبير ، فاستعد الناس لحربهم وكان منهم ابن عمر .

(٢) البداية (٧ : ٦٨٢) .

(٣) الطبقات (٤ : ١٥٦) .

(٤) العواصم من القواصم (ص ١٣٢) .

أمة محمد بعده أبو بكر وعمر ثم عثمان ، وإنا والله ما نعلم عثمان قتل نفساً بغير حق ، ولا جاء من الكباثر شيئاً ، ولكنه هذا الممال ، إن أعطاكموه رضىتم ، وإن أعطاه قرايته سخطتم . إنما تريدون أن تكونوا كفارس والروم ، لا يتروكون لهم أميراً إلا قتلوه ، ففاضت عيناه بأربعة من الدمع ثم قال : اللهم لا ترد ذلك ^(١) .

دفاعه عن عثمان

وبقي ابن عمر ثابتاً على ولائه لعثمان بعد استشهاده رضي الله عنه ؛ يدافع عنه بلسانه بعد أن منعه أن يدافع عنه بسيفه ، ولقد كان دفاعه حقائق دامغة وشواهد ثابتة ، تفحم الخصوم وتخرسهم ؛ فقد أخرج البخاري من حديث عبد الله بن موهب قال : جاء رجل من أهل مصر يريد حج البيت فرأى قوماً جلوساً ، فقال : من هؤلاء القوم ؟ قالوا : هؤلاء قريش . قال : فمن الشيخ فيهم ؟ قالوا : عبد الله بن عمر . قال : يا ابن عمر ، إني سائلك عن شيء فحدثني عنه ، هل تعلم أن عثمان فرّ يوم أحد ؟ قال : نعم . فقال : تعلم أنه تغيب عن بدر ولم يشهد ؟ قال : نعم . قال : هل تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشدها ؟ قال : نعم . قال : الله أكبر ! قال ابن عمر : تعال أبين لك : أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له . وأما تغيبه عن بدر فإنه كان تحته

(١) الرياض النضرة (٢ : ١٥٨) .

بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة ، فقال له رسول الله ﷺ : « إن لك أجر رجل ممن شهد بدرًا وسهمه » . وأما تغييه عن بيعة الرضوان ؛ فلو كان أحد أعز بطن مكة من عثمان لبعثه مكانه ، فبعث رسول الله ﷺ عثمان ، وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة ، فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى : « هذه يد عثمان » فضرب بها على يده فقال : « هذه لعثمان » . ثم قال له ابن عمر : اذهب بها الآن معك ^(١) .

وروى سالم بن عبد الله بن عمر أن أباه قال : لقد عتبوا على عثمان أشياء لو فعلها عمر ما عتبوا عليه ^(٢) .

وابن عمر كان شاهد عيان لخلافة عثمان من أولها إلى آخرها ^(٣) ، وما يقوله حق وصدق .

وسئل ابن عمر عن علي وعثمان فقال للسائل : « قبحك الله » تسألني عن رجلين - كلاهما خير مني - تريد أن أغض من أحدهما وأرفع من الآخر ^(٤) .

فإنه در ابن عمر في دفاعه المنصف عن أصحاب رسول الله ﷺ ، والله دره في التزامه وثباته على هذا الإنصاف .

(١) العواصم من القواصم (ص ١٠٤ - ١٠٥) .

(٢ و ٣) المصدر السابق (ص ٥٤) .

(٤) المصدر نفسه (ص ٥٥) .

عبدالله وعلي

بعد مقتل عثمان رضي الله عنه بقيت المدينة
خمس أيام بغير خليفة ، والأمير فيها العاقلي بن
حرب زعيم الثوار المصريين ، والناس يلتسمون
من يحيمهم إلى القيام بالأمر فلا يجدونه ، يأتي المصريون
علياً ، والكوفيون الزبير ، والبصريون طلحة ، فيتبرأ
الثلاثة من مقالهم^(١) . فخشى المهاجرون والأنصار
اتساع الخرق ، وخاف الثوار ثورة الناس عليهم ،
فعزم الجميع على عقد البيعة لعلي رضي الله عنه ،
وقد رأى أن ذلك فرض عليه فقبله ، وعقد طاحنة
رضي الله عنه له البيعة ، وبايعه عامة الناس^(٢) .

وقد ظن الثوار المغرور بهم أن في قتل عثمان راحة لهم وللمسلمين ،
ولكن الأحداث التي وقعت ، والفتنة التي بدأت واتسعت ؛ أكدت
أنهم لم يجدوا الراحة بقتله ، ولم يجد المسلمون بعده إلا الانقسام
والإختلاف ، وهذا ما أراده عبدالله بن سبا اليهودي وأعداء الاسلام

(١) تاريخ الطبري (٥ : ١٥٥) بتصرف .

(٢) انظر العواصم من القواصم (ص ١٤٣) ، والطبري (٥ : ١٥٣) .

والموتورون ، وأصحاب المصالح الخاصة ، والمخدوعون ، الذين استجابوا لدعوته الماكرة .

وسنقرب موقف عبد الله بن عمر في خضم هذه الأحداث المؤلمة ، ونرى تصرفاته في ضوء ما حدث .

الثوار يعرضون عليه الخلافة

لما لم يجد الثوار قبولاً للخلافة عند علي وطلحة والزبير رضي الله عنهم ، بعثوا إلى سعد بن أبي وقاص وقالوا : إنك من أهل الشورى فرأينا فيك مجتمع ، فاقدم نبايعك ، فبعث إليهم : إني وابن عمر خرجنا منها فلا حاجة لي فيها على حال .

ثم إنهم أتوا ابن عمر عبد الله ، فقالوا : أنت ابن عمر فقم بهذا الأمر ، فقال : إن لهذا الأمر انتقاماً والله لا أتعرض له فالتمسوا غيري^(١) .

وهذا العرض كان جدياً حتى إنهم هددوه بالقتل ، كما نقل إلينا الحسن البصري رضي الله عنه قال :

لما كان من أمر الناس ما كان من أمر الفتنة ، أتوا عبد الله بن عمر

(١) تاريخ الطبري (٤ : ٤٣٢) .

فقالوا : أنت سيد الناس وابن سيدهم ، والناس بك راضون ، أخرج
 نبايعك . فقال : لا ، والله لا يهراق في محجمة من دم ولا في سبي ما
 كان في الروح . قال : ثم أُنّي فخوف . ف قيل له : لتخرجن أو لتقتلن
 على فراشك . فقال : مثل قوله الأول .
 قال الحسن : فوالله ما استقلوا منه ^(١) شيئاً حتى لحق بالله تعالى ^(٢) .

اعتراف ابن عمر الفتن

وعندما وقع الخلاف بين علي ومعاوية رضي الله عنها أثر عبد الله بن
 عمر أن يبقى معتزلاً ؛ يتبعد عن الناس فلا يرفع سيفه في وجه مسلم ،
 وبقي بعدم بيع السلاح في ذلك القتال الذي جرى بين المسلمين في معر كتي
 الجمل وصفين .

قال نافع موله : لما قتل عثمان جاء علي إلى ابن عمر فقال : إنك
 محبوب إلى الناس فسر إلى الشام . فقال : بقرايتي وصحبتني والرحم التي
 بيننا ^(٣) . قال : فلم يعاوده ^(٤) .

(١) ما استقلوا منه شيئاً : أي ما بلغوا منه شيئاً .

(٢) حلية الأولياء (١ : ٢٩٣) .

(٣) يناشد ابن عمر علياً رضي الله عنها بهذه الأمور ليعفيه من السير
 إلى الشام . ومعنى لم يعاوده : لم يطلب إليه ثانية .

(٤) سير أعلام النبلاء (٣ : ١٤٩) .

ويقول ابن عمر : بعث إليّ عليّ فقال : يا أبا عبد الرحمن ، إنك رجل مطاع في أهل الشام ، فسير فقد أمرتكم عليهم . فقلت : أذكر الله وقرابتي من رسول الله ﷺ وصحبي إياه ، إلا ما أعفيتني ، فأبى عليّ . فاستعنت عليه بحفصة فأبى . فخرجت ليلاً إلى مكة ، فقيل له : إنه قد خرج إلى الشام . فبعث في أثري ، فجعل الرجل يأتني المريد فيخطم^(١) بغيره بعمامته ليدركني . قال : فأرسلت حفصة أنه لم يخرج إلى الشام ، إنه خرج إلى مكة فسكن^(٢) . (٣)

وهذا يظهر لنا تقدير علي رضي الله عنه لابن عمر ، ومعرفة أنه محبوب عند الناس ، وتساءل عن السبب الذي جعل ابن عمر يتخذ هذا الموقف ويرفض الإمارة ؛ فلا نجد الجواب الشافي إلا عند ابن عمر نفسه ؛ فعن القاسم بن عبد الرحمن : أنهم قالوا لابن عمر في الفتنة الأولى ألا تخرج فتقاتل ؟ فقال : قد قاتلت والأنصاب بين الركن والباب حتى نفأها الله عز وجل من أرض العرب ، فأنا أكره أن أقاتل من يقول : لا إله إلا الله . قالوا والله ما رأيك ذلك ؛ ولكنك أردت أن يفي أصحاب رسول الله ﷺ بعضهم بعضاً ، حتى إذا لم يبق غيرك قيل : بايعوا لعبد الله بن عمر بإمارة المؤمنين . قال : والله ما ذلك فيّ ولكن إذا قلتم حيّ عليّ

(١) الخطام : هو الحبل الذي يقاد به البعير .

(٢) سكن : أي هدأ عن طلبه .

(٣) سير أعلام النبلاء (٣ : ١٤٩ - ١٥٠) .

الفلاح أجبتمكم ، وإذا افترقتم لم أجامعكم ، وإذا اجتمعتم لم
أفارقكم^(١).

أسف ابن عمر على ترك نصرة علي

وقر سنوات ، ويفكر ابن عمر في موقفه في خلافة علي رضي الله
عنه فيحزن ويأسف ؛ لأنه لم يقاتل معه الفئة الباغية ، وربما حصل هذا
بعد أن عرف ابن عمر قيمة تأييده لعلي ونصرته له ، ولكن مقتل عثمان
وما لابس بيعة علي من الاضطراب ؛ كل ذلك جعله يقرر العزلة ويترك
المدينة ليلاً قاصداً إلى مكة ؛ قال ابن الأثير :

لم يشهد ابن عمر مع علي شيئاً من حروبه ، حين أشكلت عليه ، ثم
كان بعد ذلك يندم على ترك القتال معه^(٢).

ولنسمع ابن عمر يحدثنا عن هذا الأسف والندم بنفسه فيقول وهو
يحتضر : ما أجد في نفسي شيئاً إلا أني لم أقاتل الفئة الباغية مع علي بن
أبي طالب^(٣).

وقد نجد المبرر لهذا التصرف عندما نرقب ابن عمر الانسان وقد

-
- (١) حلية الأولياء (١ : ٢٩٤) .
 - (٢) أسد الغابة (٣ : ٢٤٢) .
 - (٣) سير أعلام النبلاء (٣ : ١٥٥) .

أخذته الحيرة والتردد بين أمرين : فهو أولاً بايع علياً ؛ والبيعة تلزمه بالسمع والطاعة . وهو ثانياً لا يريد حمل السلاح لقتال المسلمين ؛ وهو الذي اعتاد أن يحمله لقتال الكافرين ؛ فلما اتضح له الأمر وهو أن علياً رضي الله عنه هو صاحب الأمر والحكم ، وأن خصومه بغاة خارجون على حكمه وطاعته أسف وندم على تركه القتال معه .

في حُكْمِ بَنِي أُمَيَّةَ

● تمهيد

● حضور ابن عمر مجلسي التحكيم والصلح

● إلى الجهاد من جديد

● عقد البيعة ليزيد بن معاوية

● وفاء ابن عمر لبيعة يزيد

● خلافة عبد الله بن الزبير

● بيعة ابن عمر لعبد الملك

● ابن عمر والحجاج

● منارة اتفاق وسلام

في حكم بني أمية

تمهيد

بقيت الحرب قائمة بين علي ومعاوية بعد تفرق الحكمين - أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص - دون التوصل إلى اتفاق ؛ حتى كانت سنة أربعين وفيها استشهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه يمسك عبد الرحمن بن ملجم الحارثي ، ضربه بالسيف وهو خارج إلى صلاة الصبح فأصاب جبهته ، وتوفي بعد يومين ولم يستخلف ، وبايع أهل الكوفة الحسن بن علي رضي الله عنهما ، وبعد ستة أشهر رأى أن يحقن دماء المسلمين فاصطلح مع معاوية ، وتنازل له عن الخلافة بشرط أن تكون له من بعده ، فسمى الناس سنة إحدى وأربعين : عام الجماعة ؛ لاجتماع كلمة المسلمين فيها على خليفة واحد ، وتحققت كلمة النبي ﷺ في الحسن : « لعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » (١) .

وفي سنة خمسين أو إحدى وخمسين توفي الحسن بن علي رضي الله عنهما في خلافة معاوية ، مما شجع معاوية على أخذ البيعة لابنه يزيد بولاية العهد ،

(١) جامع الأصول (٩ : ٣٣) ، وبهامشه رواه البخاري في فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما .

وقد تمت هذه البيعة سنة ست وخمسين .

وفي سنة ستين توفي معاوية رضي الله عنه بعد أن ملك تسعة عشر عاماً ، وتولى الخلافة ابنه يزيد ، وقد دامت خلافته أربع سنوات ، وتوفي سنة أربع وستين هجرية .

وبعد وفاة يزيد بن معاوية بايع الناس في الشام ابنه معاوية ، وبايع الناس في الحجاز عبد الله بن الزبير ، وتوفي معاوية بن يزيد بعد أربعين يوماً من توليه الخلافة .

وكاد الأمر أن يخرج من بني أمية لولا اجتماعهم في الشام على بيعة مروان بن الحكم ، وكانت ولايته عشرة أشهر ؛ وتوفي سنة خمس وستين وبويع لابنه عبد الملك بعهد منه ، وبقي متغلباً على مصر والشام ، ثم غلب على العراق إلى أن قتل ابن الزبير سنة ثلاث وسبعين ؛ فاستوثق له الأمر .

وقد أدرك عبد الله بن عمر زمن عبد الملك بن مروان ، وهذا يدل على أنه عاش أكثر عصر بني أمية الذهبي ؛ حيث كثرت الفتوحات واتسعت رقعة البلاد الخاضعة لحكمهم ، وحيث تقلد الحكم خلفاء أقوياء استطاعوا أن يقضوا على خصومهم في الداخل بواسطة ولادة أشداه خذلوهم بإخلاص ؛ كزياد والحجاج .

وستتابع مواقف ابن عمر في خضم هذه الأحداث الصاخبة

والملاحقة ؛ انراه وقد التزم الطريق الأول ، فلا تميل به الدنيا ، ولا تميل بها ، ويتذكر اللجنة ونعيمها فيعرض عن مناصب الدنيا ومتعها الزائلة .

حضور ابن عمر مجلسي التحكيم والصلح

كان ابن عمر يحضر الاجتماعات الهادفة إلى توحيد الأمة وإيقاف القتال والقضاء على الفتنة ، ويتحمل من أجل ذلك السفر الشاق ، وهذا دليل على أن موقفه لا يتسم بالسلبية والعزلة إلا إذا دعي إلى القتال وشهر السلاح . أما إذا دعي إلى حضور مجالس الاتفاق والصلح فيجيب ويسعى في تحقيق الخير والفلاح لأمته ، وقد أوضح ابن عمر هذا الموقف بقوله : « من قال : «حيّ على الصلاة» أجبته ، ومن قال : «حيّ على الفلاح» أجبته ، ومن قال : «حيّ على قتل أخيك المسلم وأخذ ماله » فلا^(١) .

ففي سنة ٣٧ هـ كان اجتماع الحكّامين وشهد جماعتهم تلك : عبدالله ابن عمر ، وعبدالله بن الزبير ، وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي ، وعبدالرحمن بن عبد يغوث الزهري ، وأبو جهم بن حذيفة العدوي ، والمغيرة بن شعبة الثقفي^(٢) .

وفي هذا الاجتماع عرضت الخلافة على ابن عمر فرفضها ؛ قال نافع : قال أبو موسى يوم التحكيم : لا أرى لهذا الأمر غير عبدالله بن عمر .

(١) حلية الأولياء (١ : ٣٠٩) .

(٢) الطبري (٥ : ٦٧) .

فقال عمرو بن العاص لابن عمر : إنا نريد أن نبايعك ، فهل لك أن تعطني مالا عظيماً على أن تدع هذا الأمر لمن هو أحرص عليه منك؟ فغضب ابن عمر فقام . فأخذ ابن الزبير بطرف ثوبه فقال : يا أبا عبد الرحمن ، إنما قال : تُعْطِي مالا على أن أبايعك ، فقال ابن عمر : ويحك يا عمرو ، قال عمرو : إنما قلت أجربك . قال : فقال ابن عمر : لا والله لأعطي عليها شيئاً ولا أغطى ، ولا أقبلها إلا عن رضى من المسلمين^(١) .

وقال الذهبي معلقاً على هذه الرواية : كادت أن تتعقد البيعة له يرمئذ ، مع وجود مثل الإمام علي وسعد بن أبي وقاص ، ولو بويع لما اختلف عليه اثنان^(٢) .

وتفرق الحكماء دون اتفاق ، وقام معاوية عشية^(٣) في الناس ، فأثنى على الله جل ثناؤه بما هو أهله ، ثم قال : أما بعد ، فمن كان متكلماً في هذا الأمر فليطالع لنا قرنته ، قال ابن عمر : فاطلقت حبيوتي ، فأردت أن أقول قولاً : يتكلم فيه رجال قاتلوا أباك على الإسلام ، ثم خشيت أن أقول كلمة تفرق الجماعة ، أو يسفك فيها دم ، أو أحمل فيها على غير رأي ، فكان ما وعد الله عز وجل في الجنان أحب إلي من ذلك .

(١) حلية الأولياء (١ : ٢٩٣) ، وسير أعلام النبلاء (٣ : ١٥٢) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٣ : ١٥٥) .

(٣) كان هذا بعد وصول معاوية إلى دومة الجندل بعد تفرق الحكماء .

فلما انصرفت إلى المنزل جاءني حبيب بن مسامة فقال : ما منعك أن تتكلم حين سمعت الرجل يتكلم ؟ قلت : أردت ذلك ثم خشيت أن أقول كلمة تفرق بين جميع ، أو يسفك فيها دم ، أو أحمل فيها على غير رأي ، فكان ما وعد الله عز وجل من الجنان أحب إلي من ذلك ، قال : قال حبيب : فقد عَصِيَتْ (١) .

وفي سنة ٤١ هـ حضر ابن عمر الصلح الذي تم بين الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ومعاوية ؛ فقد أخرج الطبراني في الكبير عن ابن عمر قال : لما كان اليوم الذي اجتمع فيه الحسن بن علي ومعاوية رضي الله عنهما بدومة الجندل (٢) قالت لي أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها : إنه لا يجمُلُ بك أن تتخلف عن صالح يصلح الله به بين أمة محمد ﷺ ، أنت صهر رسول الله ﷺ وابن عمر بن الخطاب (٣) .

إلى الجهاد من جديد

ولما كانت سنة ٤٩ هـ لى ابن عمر دعوة معاوية إلى الغزو والجهاد في سبيل الله وعمره ستون سنة تقريباً ؛ قال ابن عمر في التاريخ :

سنة ٤٩ هـ : فيها غزا يزيد بن معاوية بلاد الروم حتى بلغ قسطنطينية ومعه جماعات من سادات الصحابة منهم : ابن عمر ، وابن عباس ، وابن

(١) تاريخ الطبري (٥ : ٥٨ - ٥٩) .

(٢) موضع بقرب تبوك له حصن عادي .

(٣) الطبقات (٤ : ١٨٢) .

الزبير ، وأبو أيوب الأنصاري . وقد ثبت في صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال : « أول جيش يغزون مدينة قيصر مغفور لهم » . فكان هذا الجيش أول من غزاها ، وما وصلوا إليها حتى بلغوا الجهد^(١) .

فهنيئاً لابن عمر هذا الموقف المشرف ؛ حيث تظهر طاعته لأولي الأمر ، واندفاعه رغم تقدم السن وضعف الجسم للانضواء تحت لواء الجهاد والفتح ، وهنيئاً له هذه المغفرة وقد استحقها وعداً صادقاً من رسول الله ﷺ .

عقد البيعة ليزيد

وفي سنة ٥٦ هـ دعا معاوية الناس إلى البيعة ليزيد ولده ؛ ليكون الخليفة من بعده ، وكتب إلى الآفاق بذلك ، فبايع له الناس في سائر الأقاليم ، إلا عبد الرحمن بن أبي بكر ، وعبد الله بن عمر ، والحسين بن علي ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن عباس ، فركب معاوية إلى مكة معتمراً ، فلما اجتاز بالمدينة - مرجعه من مكة - استدعى كل واحد من هؤلاء الخمسة فأوعده وتهده بانقراده ، فكان من أشدهم عليه رداً وأجلدهم في الكلام عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ، وكان أليئهم كلاماً عبد الله بن عمر بن الخطاب ، ثم خطب معاوية وهؤلاء حضور تحت

(١) البداية لابن كثير (٨ : ٣٢) ، والطبري (٥ : ٢٣٢) .

منبره ، وبائع الناس ليزيد وهم قعود ، ولم يوافقوا ولم يظهروا خلافاً لما تهددهم وتوعدهم ، فاكتملت البيعة ليزيد في سائر البلاد^(١) . وقال معاوية لعبد الله بن عمر : إني خفت أن أذر الرعية من بعدي كالغنم المطيرة ليس لها راع ، فقال له ابن عمر : إذا بايعه الناس كلهم بايعته ولو كان عبداً مجذع الأطراف^(٢) .

وكان معاوية رضي الله عنه يعرف ابن عمر ويخبره ويصفه بالصلاح والفضل ؛ فقد روى ابن دريد عن أبي حاتم عن الغتي قال : قال معاوية : يا أيها الناس ما أنا بخيركم وإن منكم لمن هو خير مني ، عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو ، وغيرهما من الأفاضل ، ولكن عسى أن أكون أنفعكم ولاية ، وأنساكم في عدوكم ، وأدركم حلباً^(٣) .

وكان بما قاله معاوية لابنه يزيد في وصيته له وهو مريض مرضه الذي مات فيه : وإني لست أخاف أن ينازعك في هذا الأمر غير نفر من قریش : الحسين بن علي ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ؛ فأما ابن عمر فإنه رجل وقفته العبادة^(٤) ، وإذا لم يبق أحد غيره بايعك .

(٢٠١) البداية لابن كثير (٨ : ٧٩) .

(٣) البداية لابن كثير (٨ : ١٣٤) ، وأدركم حلباً : أي أكثركم

إعطاء المال .

(٤) أي سكنته العبادة ، ومنعته من انتهاك ما لا يحل ولا يجمل .

وفاء ابن عمر لبيعة يزيد

وقد ثبت أن ابن عمر بقي وفياً لبيعة يزيد فلم يغدر ولم ينقض العهد ومعه في ذلك أهله ؛ وبقي ثابتاً على هذا الوفاء رغم خلع أهل المدينة ليزيد بعد أن بلغهم موت معاوية ؛ ففي كتاب الفتن من صحيح البخاري عن نافع قال : لما خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية ، جمع ابن عمر حشمه^(١) وولده فقال : إني سمعت النبي ﷺ يقول : « ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة » ، وإنا قد بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله ، وإني لا أعلم غدرأ أعظم من أن يُبايع رجل على بيع الله ورسوله ثم ينصب له القتال ، وإني لا أعلم أحداً منكم خلعه ولا بايع في هذا الأمر^(٢) ، إلا كانت الفيل^(٣) بيني وبينه^(٤).

وهذا كلام يسنّ يشهد على صحةبيعة يزيد ، وعدم جواز خلعه . وقد دلت الحوادث التي وقعت بعد ذلك على سلامة موقف ابن عمر وسديد رأيه في التحذير من الغدر والفتنة وإراقة الدماء .

(١) خدمه ومن يغضب له .

(٢) وفي نسخة من البخاري : ولا تابع ؛ والمراد : الدخول مع أهل

المدينة في خلع يزيد .

(٣) الفيل : الأمر القاطع بين الشيئين .

(٤) البداية لابن كثير (٨ : ١٤٨) .

ولم يكتف ابن عمر بتهديد أهله وأولاده إن غدروا ؛ بل سار إلى ابن مطيع - وقد ولاه أهل المدينة عليهم - يحذره من الفتنة ويسمعه حديث رسول الله ﷺ ؛ روى مسلم عن نافع قال : لما خلعوا يزيد ، واجتمعوا على ابن مطيع ، أتاه ابن عمر ، فقال عبد الله بن مطيع : اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة ، فقال عبد الله بن عمر : إني لم آتكم لأجاس ، أنيتكم لأحدثكم حديثاً ، سمعت رسول الله ﷺ يقول « من خلع يداً من طاعة ، لقي الله يوم القيامة ولا حجة له ، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية » .^(١)

ولنسمع ابن عمر وهو يعلل موقفه في الوفاء لبيعة يزيد فيما يقوله حميد بن عبد الرحمن : دخلنا على رجل^(٢) من أصحاب رسول الله ﷺ حين استخلف يزيد بن معاوية ، فقال : تقولون إن يزيد بن معاوية ليس بخير أمة محمد ، لا أفقهها فقهاً ، ولا أعظمها فيها شرفاً ، وأنا أقول ذلك . ولكن والله لأن تجتمع أمة محمد أحب إلي من أن تفترق . رأيتم باباً دخل فيه أمة محمد ووسعهم ، أكان يعجز عن رجل واحد لو كان دخل فيه ؟ قلنا . لا . قال : رأيتم لو أن أمة محمد قال كل رجل منهم لا أريق

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) هو ابن عمر .

دم أخي ولا آخذ ماله ، أكان هذا يسعهم ؟ قلنا : نعم . قال : فذلك ما أقول لكم ^(١) .

وعن محمد بن المنكدر قال : لما بويع يزيد بن معاوية فبلغ ذلك ابن عمر فقال : إن كان خيراً رضينا وإن كان بلاء صبرنا ^(٢) .

ولكن أهل المدينة لم يسمعوا هذا الكلام السداد ، وأصروا على خلع يزيد ، فأرسل لهم جيشاً بقيادة مسلم بن عقبة ، وأمهلهم ثلاثة أيام ، فأصروا أيضاً على الحرب فهزمهم عند الحرّة ^(٣) .

نصيحة لهسين

وعندما علم ابن عمر بمسير الحسين بن علي إلى العراق لحقه على مسيرة ثلاث ليالٍ وكان بينهما هذا الحوار :

قال ابن عمر : أين تريد ؟

قال الحسين : العراق - وإذا معه طوامير ^(٤) وكتب - فقال : هذه كتبهم ويعتهم .

فقال ابن عمر : لاتأتهم ؛ فأبى .

(١) العواصم من القواصم (ص ٢٢٦) .

(٢) الطبقات (٤ : ١٨٢) .

(٣) مكان يقع شرق المدينة .

(٤) طوامير : صحف .

فقال : إني محدثك حديثاً : إن جبريل أتى النبي ﷺ فخيرته بين الدنيا والآخرة ، فاختار الآخرة ولم يُرد الدنيا ، وإنك بضعة من رسول الله ؛ والله ما يليها أحد منكم أبداً ؛ وما صرفها الله عنكم إلا للذي هو خير لكم .

فأبى الحسين أن يرجع .

قال : فاعتقه ابن عمر وبكى وقال : أستودعك الله من قتل^(١) .

وكان ابن عمر إذا ذكر الحسين قال : غلبنا حسين بالخروج ولعمري لقد رأى في أبيه وأخيه عبرة^(٢) .

خلافة ابن الزبير

بعد موت يزيد بن معاوية وابنه معاوية من بعده قريباً ؛ استفحل أمر عبد الله بن الزبير ، وبويع له بالخلافة في الحجاز والعراق ومصر وخراسان وأكثر أهل الشام ؛ ولكن مروان بن الحكم عارضه في ذلك وأخذ الشام ومصر من ولاية ابن الزبير ، ثم جهز الجيش إلى العراق ، ومات فتولى بعده عبد الملك ابنه ، فقتل مصعب بن الزبير بالعراق وأخذها ، ثم بعث الحجاج فحاصر ابن الزبير بمكة قريباً من سبعة أشهر حتى ظفر به^(٣) .

(١) البداية (٨ : ١٦٠) وتاريخ الخلفاء (ص ٢٠٦) .

(٢) تاريخ الخلفاء (ص ٢٠٦) .

(٣) باختصار من البداية لابن كثير (٨ : ٣٣٨ - ٣٣٩) .

الإصرار على العزلة والحياة

بقي عبد الله بن عمر رضي الله عنهما - خلال هذه الفترة من خلافة ابن الزبير وحروبه مع بني أمية - محايداً يعتزل الفتن ، ويدعو إلى صيانة دماء المسلمين ، وينصح بالتزام الطاعة وعدم الاحتراب من أجل المناصب والملك .

فعن عاصم بن أبي النجود ، أن مروان^(١) قال لابن عمر - بعد موت معاوية بن يزيد - : هلم يدك نبايعك ، فإنك سيد العرب وابن سيدها . فقال : كيف أصنع بأهل المشرق ؟ قال : نضربهم حتى يبايعوا . قال : والله ما أحب أن هادنت لي سبعين سنة ، وأنه قتل في سبي رجل واحد^(٢) .

وعن سعيد بن جبير قال خرج علينا عبد الله بن عمر ، فرجونا أن يحدثنا حديثاً حسناً ، قال : فبادرنا إليه رجل فقال : يا أبا عبد الرحمن ، حدثنا عن القتال في الفتنة والله يقول : (وقاتلهم حتى لا تكون فتنة) فقال : هل تدري ما الفتنة ثكلتك أمك ؟ ! إنما كان محمد ﷺ يقاتل المشركين وكان الدخول في دينهم فتنة ، وليس كقتالكم على الملك^(٣) .
وتتعدد الأسئلة وتتنوع عن سبب إصراره على الاعتزال والحياة ،

(١) هو مروان بن الحكم . (٣) رواه البخاري .

(٢) الطبقات (٤ : ١٦٩) .

فكان يجب بما يؤكد المثابرة على نهجه الأول والالتزام والطاعة لمبادئه مدينه المتلى ؛ أخرج البخاري عن نافع عن ابن عمر ، أنه رجلان في فتنة ابن الزبير فقالا : إن الناس صنعوا ما ترى ، وأنت ابن عمر وصاحب النبي ﷺ فما يمنعك أن تخرج ؟ فقال : يمنعني أن الله حرم دم أخي . قالوا : ألم يقل الله : (وقاتلهم حتى لا تكون فتنة) ؟ فقال : قاتلنا حتى لم تكن فتنة^(١) وكان الدين لله ، وأنتم تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة ويكون الدين لغير الله .

وزاد عثمان بن صالح من طريق بكير بن عبد الله عن نافع أن رجلاً أتى ابن عمر رضي الله عنهما ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ما حملك على أن تهج عاملاً وتعتمر عاملاً ، وتترك الجهاد في سبيل الله عز وجل ، وقد علمت ما رغب الله فيه ؟ قال : يا ابن أخي ، بني الإسلام على خمس : إيمان بالله ورسوله ، والصلاة الخمس ، وصيام رمضان ، وأداء الزكاة ، وحج البيت . فقال : يا أبا عبد الرحمن ألا تسمع ما ذكر الله في كتابه : (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما^(٢))... إلى أمر الله وقال : (وقاتلهم حتى لا تكون فتنة) ؟ قال : فعلنا على عهد رسول الله ﷺ وكان الإسلام قليلاً ، فكان الرجل يُفتن في دينه ، إما قتلوه ، وإما عذبوه ،

(١) أي شرك .

(٢) أي أتم الآية إلى قوله تعالى : ... إلى أمر الله .

حتى كثر الاسلام ، فلم تكن فتنة . قال : فما قولك في علي وعثمان رضي الله عنهما ؟ قال : أما عثمان فكان الله عفاعنه^(١) وأما أنتم : فكركهم أن تعفوا عنه ، وأما علي : فابن عم رسول الله ﷺ وخنته^(٢) ، وأشار يده فقال : هذا بيته^(٣) حيث ترون^(٤) .

ولكن حياذ ابن عمر هذا لم يمنعه من أن يقف أمام ابن الزبير وهو مصلوب عند ثنية الحجون بمكة ؛ يسلم عليه ويصفه بما يعلم عنه من العبادة والتقوى ، فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي نوفل قال : رأيت عبد الله ابن الزبير على ثنية الحجون مصلوباً ، فجعلت قريش تمر عليه والناس ، حتى مرَّ عليه عبد الله بن عمر ، فوقف عليه فقال :

السلام عليك أبا خبيب ، السلام عليك أبا خبيب ، السلام عليك أبا خبيب ، أما والله لقد كنت أنهلك عن هذا ، أما والله لقد كنت أنهلك عن هذا ، أما والله إن كنت ما علمت صواماً قواماً وصولاً للرحم ، أما والله لأمة أنت شرها لأمة خير .

(١) وذلك حينما فر مع من فر يوم أحد وأنزل الله في شأنهم : « ولقد

عفا عنكم » .

(٢) خنته : صهره .

(٣) أي بيته إلى جوار بيت النبي صلى الله عليه وسلم .

(٤) رواه البخاري .

ثم بعدَ عبدالله بن عمر ، فبلغ الحجاج وقوف ابن عمر عليه وقوله
ما قال ، فأرسل إليه فأنزله عن جذعه^(١) .

بيعة ابن عمر لعبد الملك

لما أجمع الناس على البيعة لعبد الملك بن مروان كتب إليه ابن عمر : أما
بعد : فإني قد بايعت لعبد الملك أمير المؤمنين بالسمع والطاعة على سنة
الله وسنة رسوله فيما استطعت ، ولئن بنيّ قد أقرّوا بذلك^(٢) .

وفي الطبقات عن ميمون بن مهران قال : كتب ابن عمر إلى عبد
الملك بن مروان فبدأ باسمه ؛ فكتب إليه : أما بعد : (فأله لا إله إلاّ
هوَ لِيَجْمَعَ عَنَّاكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَارِيبَ فِيهِ ... إلخ الآية) . وقد بلغني
أن المساميين اجتمعوا على البيعة لك ، وقد دخلتُ فيما دخل فيه المسلمون
والسلام^(٣) .

وحاول بعض بطانة الخليفة أن يوغروا صدره على ابن عمر لأنه بدأ
باسمه قبل اسم الخليفة ؛ فعن حبيب بن أبي مزروق قال : بلغني أن
عبدالله بن عمر كتب إلى عبد الملك بن مروان وهو يومئذ خليفة ؛ من

(١) البداية لابن كثير (٨ : ٣٤٦) وقال : تفرد به مسلم .

(٢ و ٣) الطبقات (٤ : ١٥٢) .

عبدالله بن عمر إلى عبد الملك بن مروان ، فقال من حول عبد الملك :
بدأ باسمه قبل اسمك ، فقال عبد الملك : إن هذا من أبي عبد الرحمن
كثير ؟ (١) .

وكان مما كتب به عبد الملك إلى الحجاج بن يوسف ألا يخالف
عبدالله بن عمر في الحج (٢) ؛ لما يعرف من فضله وفقهه .

ابن عمر والحجاج

بقي الحجاج بن يوسف الثقفي والياً على مكة بعد مقتل ابن الزبير ،
وكان عبد الله بن عمر يترك المدينة ويأتي مكة حاجاً أو معتمراً ، ويرى
أو يسمع من أفعال الحجاج وأقواله المخالفة للشرع ، فيأمره بالمعروف
وينهاه عن المنكر ، ويردُّ عليه بكل جرأة وشجاعة .

ولا شك أن الذي عزم ابن عمر من بطش الحجاج - وهو يعلن
كلمة الحق - هو إخلاصه لله تعالى ، وغضبه لله لا لنفسه ، ويؤكد هذا
أن ردة على الحجاج ودفاعه عن خاصة نفسه كان رداً هادئاً ، بعيداً
عن القسوة والعنف ، مدعماً بالحجة والمنطق السديد ؛ فعن المطعم بن
مقدام الصنعاني قال : كتب الحجاج إلى عبد الله بن عمر : بلغني أنك

(١) الطبقات (٤ : ١٥٢) .

(٢) نسب قريش (ص ٣٥١) .

طلبت الخلافة ، وإن الخلافة لا تصلح لِعَيٍّ^(١) ولا بخیل ولا غيور .

فكتب إليه ابن عمر : أما ما ذكرت من أمر الخلافة أني طلبتها فما طلبتها وما هي من بلي ، وأما ما ذكرت من العيِّ والبخل والغيرة ، فإن من جمع كتاب الله عز وجل فليس بعَيٍّ ، ومن أدى زكاة ماله فليس بخیل ، وأما ما ذكرت من الغيرة فإن أحق ما غرت فيه ولدي أن يشركني فيه غيري^(٢) ..

وأحياناً يسمع منه ما ينكره ويسكت حتى لا يذل نفسه ؛ مهتدياً بأقوال النبي ﷺ . فعن ابن عمر قال : سمعت الحجاج يخاطب فذكر كلاماً أنكرته فأردت أن أغير فذكرت قول رسول الله ﷺ : « لا ينبغي المؤمن أن يذل نفسه » قال : قلت : يا رسول الله كيف يذل نفسه ؟ قال : « يتعرض من البلاء ما لا يطيق »^(٣) .

ويعود الحجاج ابن عمر في مرض موته ، ويفاجأ من جرأته وصراعته وهو ينكر عليه أمره بمجمله السلاح في الحرم وتسببه في إصابته ؛ فعن عطية العوفي ، قال : سألت مولى لعبد الله بن عمر عن موت عبد الله بن عمر ؟ قال فقال : أصابه رجل من أهل الشام بزجته في رجله ، قال فأتاه

(١) العي : (بفتح العين) الذي يهجز عن إحكام النطق .

(٢) صفة الصفة (١ : ٥٦٧) وحلية الأولياء (١ : ٢٩٣) .

(٣) حياة الصحابة (٣ : ٢٩٨ - ٢٩٩) .

الحجاج يعود ، فقال . لو أعلم الذي أصابك لضربت عنقه . فقال عبدالله :
أنت الذي أصبتني ، قال : كيف ؟ قال : يوم أدخلت حرم الله
السلاح (١) .

وفي رواية أن ابن عمر قال بعد خروج الحجاج :
ما آسى من الدنيا إلا على ثلاث ظمء الهواجر ، ومكابدة الليل
وإلا أكون قاتلت هذه الفئة الباغية التي حلت بنا (٢) .
ولم يكف الحجاج بمضايقة ابن عمر في آخر حياته ، والتسبب في
وفاته ، بل ضايقه بعد موته وغلبه على وصيته .
عن فافع قال : لما حضرت ابن عمر الوفاة أوصى أن لا يدفن في
الحرم ، وأن يدفن خارجاً من الحرم ، فعُلبَ فُدفن في الحرم وصلى
عليه الحجاج (٣) .

منارة اتفاق وسلام

وهكذا اقتدر لابن عمر أن يعيش أكثر من نصف عمره في حكم

(٢١٩) الطبقات (٤ : ١٨٥) .
(٣) الطبقات (٤ : ١٨٧) . وكانت وصية ابن عمر هذه تأسياً
برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد مر إيضاح ذلك عند الكلام عن ذكريات
الهجرة (ص ٢٨) .

بني أمية وسط الأحداث الجسام ، والسحب المظلمة والعواصف الهوجاء .
ولقد بقي رضي الله عنه كالطود الشامخ ثابتاً لا يتغير ، ولا يبرح
نهجه ولا يتخلى عن ورعه وزهده^(١) .

وينظر إلى قلبه يتفحصه ؛ هل عراه من هذه الفتن الكثيرة ،
والأموال الوافرة والمناصب المغرية شيء ؟! ويقول :
ما كنت بشيء بعد الاسلام أشد فرحاً من أن قلبي لم يشربه شيء
من هذه الأهواء المختلفة^(٢) .

وتؤكد أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها هذا الالتزام والثبات
فتقول : ما رأيت أحداً ألزم للأمر الأول من عبدالله بن عمر^(٣) .

ويدعو رجل من عامة الناس فيقول : اللهم أبق عبدالله بن عمر
ما أبقيتني ، أقتدي به فأني لا أعلم أحداً على الأمر الأول غيره^(٤) .
ويقول آخر : ما أحد منا أدر كته الفتنة إلا لو شئت لقلت فيه
غير ابن عمر^(٥) .

وكان الخوف من الله يعصمه ، والخوف من مخالفة أصحابه الذين

(١) عن كتاب رجال حول الرسول بتصرف يسير (١ : ١٢٩) .

(٢) الطبقات (٤ : ١٥٩) .

(٣) صفة الصفوة (١ : ٥٦٧) .

(٤ و ٥) الطبقات (٤ : ١٤٤) .

سبقوه يحفظه ؛ فعن نافع قال : دخل ابن عمر الكعبة فسمعه وهو ساجد
يقول : قد أعلم ما يمنعني من مزاحمة قريش على هذه الدنيا إلا خوفك^(١) .

فله دره لم تغلبه الأيام وقد ناف عمره على الثمانين ، بل بقي وهو
القوي الجريء صامداً على الحق ، ومنارة عالية تضيء ، وتهدي الناس الى
الاجتماع والسلام .

ولقد أدرك ابن عمر تغير النفوس ، واتساع الأمصار وتناثبها ،
وتشعب الآراء وكثرة الاختلافات والاتجاهات ، فأعلن العزلة والحياد ،
ورفض الخلافة والإمارة والقضاء ، وتفرغ لنفسه بزيكها ، وينمي فضائلها .
وكان يطالب الناس بالسمع والطاعة وعدم الاقتتال من أجل الدنيا ،
ولو وجدت أقواله عند المسلمين أذناً صاغية ؛ لعصموا دماءهم وأموالهم ،
ولبقيت سيوفهم تتوجه إلى أعدائهم بدل أن تتوجه إلى داخل صفوفهم .
ولكنها المطامع والأهواء ، والأمم المغلوبة التي اندحرت أمام جيوش
المسلمين وقوتهم ، فرأت أن تغير ميدان المعركة وتوجه هجومها القاتلة
إلى الداخل ، وقد كان منها السبئية اليهودية والشعوبية الفارسية .

(١) صفة الصفوة (١ : ٥٦٦) .

وَفَاتُهُ

وأخيراً أراد الله تعالى لهذه النفس الزكية أن ينتهي مقامها في هذه الدنيا ، وأن تهاجر إلى الله حيث اللقاء بمحمد صلى الله عليه وسلم وصحبه ، بعد أن أمضت في هذه الحياة الدنيا عمراً مديداً ، مملوءة أيامه بجلائل الأعمال وفضائل الحُصَال ومكارم الأخلاق .

وقد كانت وفاته بحكمة سنة ثلاث وسبعين بعد مقتل ابن الزبير بثلاثة أشهر وقيل بستة أشهر ، وهو ابن أربع وثمانين سنة ، وفكر أن وفاته كانت في شهر ذي الحجة ^(١) .

سبب الوفاة

حج ابن عمر - عام قتل ابن الزبير - مع الحجاج بن يوسف ؛ وكان عبدالملك كتب الى الحجاج بن يوسف ألا يخالف عبدالله في الحج ؛ فأتاه ابن عمر حين زالت الشمس يوم عرفة ، ومعه ابنه سالم ، وصاح به عند مرادقه : « الرواح » فخرج عليه الحجاج في معصفرة ؛ فقال : « هذه الساعة » ؟ قال : « نعم » ، قال : فأمهني أصب عليّ ماء . قال فدخل ثم خرج . قال سالم : فسار بيني وبين أبي ، فقلت

(١) تهذيب الاسماء واللغات (١ : ٢٨٠) والاصابة (٣ : ٣٤٠) .

له : إن كنت تحب أن تصيب السنة ، فعجل الصلاة ، وأوجز الخطبة ، فنظر إلى عبدالله لسمع ذلك منه ، فقال عبدالله : « صدق » ثم انطلق حتى وقف في موقفه الذي كان يقف فيه ، فكان ذلك الموضع بين يدي الحجاج ، فأمر الحجاج من نخس به حتى نفرت ناقته ^(١) ، فسكنها ابن عمر ، ثم ردها إلى الموضع الذي كان يقف فيه ، فأمر الحجاج أيضاً بناقته فنخست ، فنفرت بابن عمر ، فسكنها حتى سكنت ؛ ثم ردها إلى ذلك الموقف ، فنقل على الحجاج أمره ؛ فأمر رجلاً معه حربته — يقال إنها كانت مسمومة — فلما دفع الناس من عرفة ، لصق به ذلك الرجل ، فأمر الحربة على رجله ، وهي في غرز رجله ، ففرض منها أياماً ، فمات بمكة ودفن بها ، وصلى عليه الحجاج بن يوسف ^(٢) .

وهذه الرواية تصرح بأن الحجاج قصد التخلص من ابن عمر وتعمد قتله ، ولكن أكثر الروايات تؤكد أن الحجاج كان سبباً في الوفاة من طريق غير مباشر ، وذلك لأنه أمر بجمل السلاح في موسم الحج في الحرم ، وقد جاء هذا مصرحاً به على لسان ابن عمر أثناء مرضه عندما جاء الحجاج بن يوسف يعوده ؛ قال سعيد بن العاص : دخل الحجاج يعود ابن عمر ، وقد أصاب رجله ، قال : كيف تجدك يا أبا عبد الرحمن ؟

(١) لأن مرقنه بين يدي الحجاج كان يعز عليه ويتضايق منه .

(٢) نسب قريش (ص ٣٥١) .

أما إنا لو نعلم من أصابك عاقبناه ، فهل تدري من أصابك ؟ قال :
أصابني من أمر يحمل السلاح في الحرم ولا يحل فيه حمله ^(١) .

وقال ابن عمر عند الموت لابنه سالم : يا بني إنا مت فادفني
خارجاً من الحرم ، فإني أكره أن أدفن فيه بعد أن خرجت منه مهاجراً ،
فقال : يا أبت إنا قد رنا على ذلك ؟ قال : تسمعني أقول لك وتقول إنا
قد رنا على ذلك ؟ قال : أقول : الحجاج يغلبنا فيصلي عليك . قال :
فسكت ابن عمر ^(٢) .

وقال سالم : أوصاني أبي أن أدفنه خارجاً من الحرم ، فلم تقدر
فدفنناه في الحرم بفتح في مقبرة المهاجرين ^(٣) .

(١) الطبقات (٤ : ١٨٦) .

(٣٥٢) الطبقات (٤ : ١٨٧ - ١٨٨) .

حليته ولباسه

حليته

كان عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - ربعة^(١) من الرجال ، آدم^(٢) ، له جمجمة^(٣) تضرب إلى منكبيه ، جسيما يخضب بالصفرة ويحفي شاربه^(٤) .

وعن البراء قال رأيت ابن عمر في السعي بين الصفا والمروة ؛ فإذا رجل ضخم آدم^(٥) .

وقال نافع : كان ابن عمر يصفّر حليته ، وكان يعفي حليته إلا في حج أو عمرة^(٦) . وكان يقبض على حليته ثم يأخذ ما جاوز القبضة^(٧) . وعن عبدالله بن دينار قال : رأيت ابن عمر يحفي شاربيه^(٨) .

(١) ربعة : مربوع الخلق لا طويل ولا قصير .

(٢) آدم : أسمر .

(٣) جمجمة : مجتمع شعر الرأس .

(٤) البداية (٩ : ٤) .

(٥) الاصابة (٢ : ٣٣٨) .

(٦) سير أعلام النبلاء (٣ : ١٣٧) .

(٧) الطبقات (٤ : ١٨٧) .

(٨) الطبقات (٤ : ١٧٧) .

وعن عبيد بن جريح ، قلت لابن عمر : رأيتك تصفر لحيتك ، قال : إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصفر لحيته . قلت : ورأيتك تلبس هذه النعال السبئية ، ^(١) قال : إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها ويستحبها ويتوضأ فيها ^(٢)

لباسه

وكان يأتسي برسول الله صلى الله عليه وسلم في لباسه ، ويلتزم بما أمره به من تقصير لإزاره أو قميصه ؛ تجنباً للكبر والحياء ، حتى أصبح التقصير صفة ظاهرة في لباسه معروفة عنه ؛ حدث يحيى بن عمير قال : رأيت سالم بن عبد الله وقف على أبي وعليه قميص مشتمر ، فأمسك أبي بطرف قميصه ونظر إلى وجهه ثم قال : لكانه قميص عبد الله بن عمر ^(٣) . وعن موسى بن دهقان قال : رأيت ابن عمر يتزر إلى أنصاف ساقيه ^(٤) . وعن نافع عن ابن عمر ؛ أنه اغم وأرخاها بين كتفيه ^(٥)

والذي يلفت الانتباه في لباس عبد الله بن عمر إلى جانب حرصه على التقصير . وعدم الزهو ؛ هو تأسيه برسول الله صلى الله عليه وسلم في النظافة وحسن المظهر ؛ قال نافع : كان ابن عمر يغتسل لإحرامه ،

(١) النعال السبئية : الأحذية المصنوعة من الجلود المدبوغة ولا شمر عليها.

(٢) الطبقات (١٧٩ : ٤) .

(٣ و ٤ و ٥) الطبقات (١٧٤ : ٤ - ١٧٥) .

ولدخوله مكة ، ولو قوفه بعرفة (١) .

وقال : كان ابن عمر يدهن في اليوم مرتين (٢) .

وعنه ؛ أن ابن عمر كان لا يروح إلى الجمعة إلا ادهن وتطيب ،
إلا أن يكون حراماً (٣) (٤) .

وعن ابن شهاب ؛ أن ابن عمر كان يتطيب للعيد (٥)

(١) الطبقات (٤ : ١٦١) .

(٢) الطبقات (٤ : ١٥٧) .

(٣) أي إلا أن يكون محرماً فهي الحج .

(٤) و (٥) الطبقات (٤ : ١٥٢) .

أَسْرَتُهُ

لقد وجد ابن عمر في الجهاد والعلم والعبادة ما يصرف همه عن الزواج ؛ ولكن أخته حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها نصحته بالزواج ، وأوضحت له أن ذلك يكسبه الأجر والدعاء ؛ قال عمرو بن دينار : أراد ابن عمر ألا يتزوج فقالت له حفصة : تزوج فإن ماتوا أُجرت فيهم ، وإن بقوا دعاؤ الله لك ^(١) .

فتزوج ورزق من الولد اثنا عشر وأربع بنات :
 أبو بكر وأبو عبيدة ، وواقد ، وعبد الله ، وعمر ، وحفصة ؛
 وسودة ؛ وأُمهم صفية ^(٢) بنت أبي عبيد بن مسعود الثقفي ^(٣) .
 وعبد الرحمن وبه كان يُكنى ؛ وأمه أم علقمة المحاربة .
 وسالم ، وعبيد الله ، وحمزة ؛ وأُمهم أم ولد (سرية) .
 وزيد ، وعائشة ؛ وأُمها أم ولد .

(١) الطبقات (٤ : ١٧٠) .

(٢) وهي أخت المختار الثقفي ، وكان عبد الله لها حبا ومكرما ، وتوفيت في حياته ، عن البداية (٨ - ٢٩٠) .

(٣) أبو عبيد بن مسعود الثقفي ، أسلم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره ، فلذلك لم يذكره أكثر الناس في الصحابة ، وذكره ابن الأثير في أسد الغابة ، وقد كان بعثة عمو في جيش كثيف في قتال الفرس سنة ثلاث عشرة ، فقتل يومئذ شهيدا ، وقتل معه أربعة آلاف من المسلمين . عن البداية (٨ : ٢٨٩) .

وبلال ؛ وأمه أم ولد .

وأبو سلمة ، وقلابة ؛ وأمهما أم ولد .

ويقال : إن أم زيد بن عبد الله سهلة بنت مالك (١) .

وها أنا أنرجم لذوي الشأن من أبنائه من ذكرت كتب التراجم
والسير أسماءهم .

عبد الله بن عبد الله

أبو عبد الرحمن المدني ، روى عن أبيه ، وعن أبي هريرة ، وروى
عنه ابنه عبد العزيز ، ونافع مولاهم ، ومحمد بن عباد ، والقاسم بن
محمد ، وعبد الله بن أبي سلمة .

وكان وصي أبيه . قال وكيع : كان ثقة . وقال أبو زرعة
والنسائي : ثقة . وذكره ابن حبان في الثقات . وقال يزيد بن هارون :
كان أكبر ولد عبد الله بن عمر . وقال الزبير بن يكار : كل من
أشرف قریش ووجوها .

وقال ابن حجر : وصية — أمه — كانت في عهد النبي صلى الله عليه

(١) طبقات ابن سعد (٤ : ١٤٢) وسير النبلاء (١٦٠ : ٣) ،

وقد جمعت بين خبريهما .

وسلم صغيرة ، فيكون مولده بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم^(١) .

سالم

أبو عمر ويقال : أبو عبد الله المدني الفقيه .

روى عن أبيه وأبي هريرة وأبي رافع وأبي أيوب .

قال سعيد بن المسيب : كان أشبه ولدِ عمرَ بعمرَ عبد الله ، وأشبه ولدِ عبد الله بعبد الله سالم^(٢) .

وقال مالك : لم يكن في زمان سالم بن عبد الله أشبه من مضى من الصالحين في الزهد والفضل والعيش منه^(٣) .

وقال الأصمعي : عن ابن أبي الزناد : كان أهل المدينة يكرهون اتخاذ أمهات الأولاد حتى نشأ فيهم القراء السادة : علي بن الحسين بن علي

(١) تهذيب التهذيب (٥ : ٢٨٦) .

(٢) الطبقات (٤ : ١٤٥) .

(٣) في كتاب « الترغيب والترهيب » : أن الحجاج أمر سالم بن عبد الله بقتل رجل ، فقال له سالم : أصليت الصبح ؟ فقال الرجل : نعم . فقال له انطلق ، فقال له الحجاج : ما منعك من قتله ؟ فقال سالم : حدثني أبي أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من صلى الصبح كان في جوار الله يومه » فكرهت أن أقتل رجلاً أجاره الله . فقال الحجاج لابن عمر : أفنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال ابن عمر : نعم .

ابن أبي طالب ، والقاسم بن محمد بن أبي بكر ، وسالم بن عبدالله - وأمهاهم سراري - ففاقوا أهل المدينة علماً وتقى وعبادة وورعاً ، فرغب الناس حينئذ في السراري . وعن ابن المبارك : كان فقهاء المدينة سبعة فذكره فيهم . وقال أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويته : أصبح الأسانيد الزهري عن سالم عن أبيه . وقال العجلي : مدني تابعي ثقة . وقال ابن سعد : كان ثقة كثير الحديث عالماً من الرجال ^(١) .
وكانت أبوه يلام في حبه فيقول :
يلوموني في سالم وألومهم
وجلدة بين العين والأنف سالم ^(٢)

عبدالله

أبو بكر ، كان شقيق سالم . روى عن أبيه وأبي هريرة ، وروى عنه ابنه القاسم والزهري . قال الواقدي : كان أسن من عبدالله فيما يذكرون ، وكان ثقة قليل الحديث ، وقال أبو زرعة والنسائي : ثقة . وذكره ابن حبان في الثقات وقال : مات قبل سالم . وقال العجلي : تابعي ثقة ^(٣) .

(١) تهذيب التهذيب (٣ : ٤٣٨) .

(٢) المعارف لابن قتيبة (ص ٨٠) .

(٣) تهذيب التهذيب (٧ : ٢٥٠) .

زيد

ذكره ابن حبان في الثقات ، وذكره مسلم في الطبقة الأولى من تابعي أهل المدينة ، وروى ابن أبي شبة ما يدل على أنه ولد في عهد عمر ؛ فإنه أخرج من طريق عمر بن محمد بن زيد عن أبيه عن جده ؛ أنه لما ولد أخفه عمر في مائة من العطاء ^(١) .

حمزة

أبو عمارة ، قال ابن سعد : كان ثقة قليل الحديث . وقال العجلي : مدني تابعي ثقة . وذكره ابن حبان في الثقات . وذكره ابن المديني عن يحيى بن سعيد في فقهاء أهل المدينة ، وهو شقيق سالم ^(٢) .

بلال

كان أشج ، وكان عبدالله بن عمر يقول له : يا بلال أترجو أن تكون أشج بني عمر . فهلك وهو صغير ^(٣) لا عقب له ^(٤) .

(١) تهذيب التهذيب (٣ : ٤١٦ - ٤١٧) .

(٢) » » (٣ : ٣١) .

(٣) لعنه يريد شاباً .

(٤) المعارف (ص ٨٠) .

روى عن أبيه حديث : « لا تمنعوا إماء الله مساجد الله » . قال أبو زرعة : مدني ثقة . وقال حمزة الكناني : لا أعلم له غير هذا الحديث . وذكره مسلم في الطبقة الأولى من المدنيين ، وعدّه يحيى القطان في فقهاء أهل المدينة ، وذكره ابن حبان في الثقات ^(١) .

واقد

وأما واقد بن عبدالله بن عمر فوقع من بعير وهو محرم فهلك ، فولد واقد عبدالله بن واقد وكان من رجال قريش ^(٢) .

سودة

وكانت عند عروة بن الزبير ، وقد ثبت أن عروة خطبها وابن عمر في الطواف فسكت ولم يجبه ، ثم تم زواجه منها في المدينة كما سيأتي تفصيل ذلك عند الحديث عن عبادة ابن عمر .

وهذه الأسماء التي سمى بها عبدالله بن عمر أولاده كانت مقصودة ومنقاة ، فكان رضي الله عنه يسميهم بأسماء الصحابة الكرام ، وهذا دليل محبة عبدالله لأصحاب رسول الله ﷺ وإعجابه بهم وتقديره لبطولاتهم وإحيائه لذكراهم .

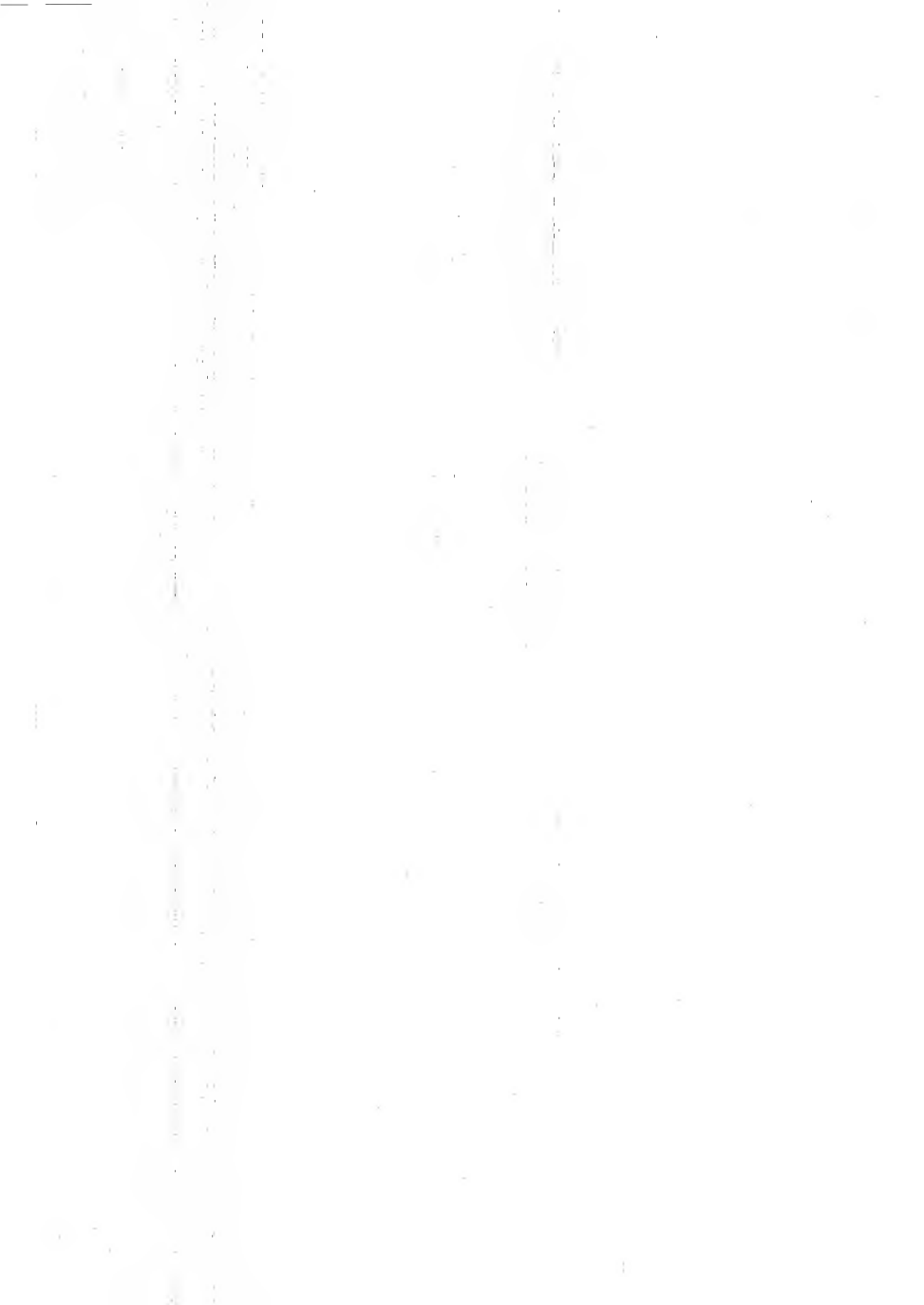
(١) تهذيب التهذيب (١ : ٥٠٤) .

(٢) المعارف (ص ٨٠) .

قال سعيد بن المسيب : قال لي عبدالله بن عمر : هل تدري لم سميت
 ابني سالماً ؟ قال : قلت : لا ، قال : باسم سالم مولى أبي حذيفة ، قال :
 فهل تدري لم سميت ابني واقداً ؟ قال : قلت لا ، قال : باسم واقد
 ابن عبدالله اليربوعي ^(١) ، قال : هل تدري لم سميت ابني عبدالله ؟ قال :
 قلت لا ، قال باسم عبدالله بن رواحة ^(٢) .



-
- (١) واقد بن عبدالله اليربوعي من كبار الصحابة - سمي به عبدالله
 ابن عمر ابنه واقداً - وهو الذي بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عبدالله
 ابن جحش في طلب عير قريش ، عن أسد الغابة (٥ : ٤٣٤) .
- (٢) الطبقات (٤ : ١٥٩) .



مَعَ الشَّخْصِيَّةِ

● اسوۃ پر رسول اللہ

● علم

● جہاد

● عبادت

● خوفہ من اللہ

● زہدہ و ورعہ

● جودہ و کرمہ

● تواضعہ و حسن خلقہ

معالم شخصيته

إن معالم شخصية عبد الله بن عمر رضي الله عنها كثيرة وعظيمة ،
نجدله نموذجاً صادقاً لذلك الجيل الفريد الذي رباه رسول الله ﷺ
على عینه .

ولا نبالغ إذا قلنا : إن حياة هذا الصحابي الجليل في دقائقها
وتفصيلاتها تطبق على لمبادئ الاسلام وأخلاقه . « وهنا يكمن السر في
انتصار محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم حيث صنع أصحابه رضوان
الله عليهم صوراً حية من إيمانه ، تأكل الطعام وتمشي في الأسواق ،
وصاغ من كل منهم قرآناً حياً يدب على الأرض ، وجعل كل فرد
نموذجاً مجسماً »^(١)

واقدر رأينا ابن عمر خلال عمره المبارك الطويل طاقة من النور
تشع ، فتهدي الناس إلى الحق وإلى الخير ، ولم يكن يدعو إلى الاسلام
وإلى التماسي برسول الله صلى الله عليه وسلم بلسانه أو بقلبه - كما يفعل
أكثرنا اليوم - وإنما كان يترجم الدعوة والقودة عملاً وسلوكاً .
وعندما نبحث عن جذور هذه المعالم الواضحة في غير كرامة
الأصل ونبيل المحتد ، فإننا نجد لها في الصفة المبكرة لرسول الله صلى

(١) دراسات إسلامية لسيد قطب (ص ٢٥) .

الله عليه وسلم ، وفي الحب والإعجاب الذي ربط بين عبد الله وأبيه عمر ؛
فبقي طيلة حياته يحاكي أفعاله ويتشبه بفضائله ، وفي الرفقة الطويلة لكثير
من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيما استفاده ابن عمر من
خبره الحياة وتجارب الأيام .

كل هذا جعل من حياة ابن عمر ، شجرة مباركة ميمونة أصلها
ثابت وفرعها في السماء ، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ؛ فكان متأسيماً
برسول الله صلى الله عليه وسلم وعالمًا ومجاهدًا ، وعابدًا تقيًا ، وزاهدًا
ورعًا ، وجوادًا كريمًا ، ومتواضعًا حسن الأخلاق ، ويخاف الله ويخشاه ،
وقد عرف الصحابة والتابعون فضائله وشهدوا بها للناس والتاريخ .

أَسْوَةٌ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ

كان قول الله تعالى : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) ،
منهج حياة لابن عمر ، ودليلاً قاطعاً له لإقامة الحجّة على المتعالمين
والمتفقيين في هذا الدين ، واقتناعه بمدلول هذه الآية خالط قلبه وفكره
وروحه ، وحمله على اتباع آثار النبي صلى الله عليه وسلم وأحواله والتشدد
في ذلك ؛ حتى في الأعمال الحياتية التي لا تدخل لها في التشريع ولم تؤمر
باتباعها ؛ فغن نافع أن ابن عمر كان يتبع آثار النبي صلى الله عليه وسلم ،
فيصلي في كل مكان صلى فيه ، حتى إن النبي صلى الله عليه وسلم نزل
تحت شجرة فكان ابن عمر يتعاهد تلك الشجرة فيصب في أصلها الماء
لكيلا ييبس^(١) .

وقال مجاهد : كنا مع ابن عمر رضي الله عنها في سفر ، فمر بمكان
فجاد عنه ، فسئل لم فعلت ذلك ؟ قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فعل هذا ففعلت^(٢) .

وعن نافع ، أن ابن عمر كان في طريق مكة يقول برأس راحلته ،

(١) حياة الصحابة (٢ : ٦٥٥)

(٢) مسند أحمد (٢ : ٤٠)

يشيها ويقول : لعل خفاً يقع على خف - يعني خف راحلة النبي صلى الله عليه وسلم^(١).

وأكدت عائشة تتبع ابن عمر لآثار النبي وانفراده بذلك فقالت : « ما كان أحد يتبع آثار النبي صلى الله عليه وسلم في منزله كما كان يتبعه ابن عمر » .^(٢)

وينقل نافع وغيره وصفاً لحاله وهو يتبع آثار النبي صلى الله عليه وسلم ، فيقول : « لو نظرت إلى ابن عمر رضي الله عنها إذا اتبع أثر النبي صلى الله عليه وسلم لقلت : هذا مجنون » .^(٣)

وعن عاصم الأحول عن حدثه قال : « كان ابن عمر رضي الله عنها إذا رآه أحد ظن أن به شيئاً من تتبعه آثار النبي صلى الله عليه وسلم » .^(٤)

وفي كتب الحديث والتراجم حوادث كثيرة تظهر أسوة ابن عمر برسول الله عليه وسلم ، وهي ولا شك تدل على محبة ابن عمر لرسوله وقائده ، وتدل على إيمانه وتقواه وانفعاله بعبادته هذا الدين وكل أمر فيه ، وإلى القارئ الكريم بعض هذه الحوادث نذكرها على سبيل

(١) حلية الأولياء (١ : ٣١٠) .

(٢) الطبقات (٤ : ١٢٥) .

(٣ و ٤) حلية الأولياء (١ : ٣١٠) .

التمثيل لا الحصر ؛ قال عبد الله بن قيس بن مخزومة : أقبلت من مسجد بني عمرو بن عوف بقباء على بغلة لي - قد صليت فيه - فلقيت عبد الله ابن عمر ماشياً ، فلما رأيته نزلت عن بغلي ثم قلت : اركب أي عم ، قال : أي ابن أخي ، لو أردت أن أركب الدواب لوجدتها ، ولكنني رأيت رسول الله عليه وسلم يمشي إلى هذا المسجد حتى يأتي فيصلي فيه ، فانا أحب أن أمشي إليه كما رأيته يمشي ، قال : فأبى أن يركب ومضى على وجهه^(١).

ورأى كثير بن جهمان ابن عمر يمشي في الوادي بين الصفا والمروة ولا يسعى فقال له ؛ فقال : إن أسعَ فقد رأيت رسول الله عليه وسلم يسعى ، وإن أمشَ فقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي وأنا شيخ كبير^(٢).

وفي البخاري : « سأل رجل ابن عمر عن استلام الحجر ؟ فقال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمه ويقبّله ، قال : أرأيت إن مُزِحمت ؟ أرأيت إن غلبت ؟ قال : اجعل « أرأيت » باليمن ، رأيت رسول الله عليه وسلم يستلمه ويقبّله »^(٣).

(١) مسند أحمد (٢ : ١١٩) .

(٢) مسند أحمد (٢ : ٦١) .

(٣) جامع الأصول (٣ : ١٧٧) .

وكانت هذه الأسوة لرسول الله ﷺ تشمل الأقوال والأفعال ، وكانت مبنية على فهم وعلم لتعاليم القرآن الكريم في الاقتداء بالرسول ﷺ ؛ قال عبد الرحمن بن أمية بن عبد الله لابن عمر رضي الله عنها : نجد صلاة الخوف وصلاة الخضر في القرآن ولا نجد صلاة السفر ؟ فقال ابن عمر : بعث الله نبيه ونحن أجفئ الناس ، فنصنع كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١) .

وقيل لابن عمر : قول الله تعالى : (وإذا ضربتم في سبيل الله فليس عليكم جناح ... الآية) ، فنحن آمنون لا نخاف فتقصر الصلاة ؟ فقال : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة)^(٢) .

وروى الزهري عن رجل من آل خالد بن أسيد قال : قلت لابن عمر : إنا نجد صلاة الخوف وصلاة الخضر في القرآن ، ولا نجد صلاة السفر ؟ فقال : ان الله تعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم ولا نعلم شيئاً فإتينا نفعل كما رأينا محمداً صلى الله عليه وسلم يفعل^(٣) .

وكان يغضب - حتى من ولده - إذا لم يلتزم ويطع سنة النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فعن حبيب بن أبي ثابت ، عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم : « لا تمنعوا نساءكم المساجد ، ويوتن خيرهن » .

(١ و ٢) حياة الصحابة (٢ : ٦٥٦ - ٦٥٧) .

(٣) المسند (٢ : ٦٦) .

قال : فقال ابن لعبد الله بن عمر : بلى والله لنمنعهن^(١). فقال ابن عمر :
تسمعنني أحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول ماتقول^(٢). وفي
رواية في المسند : فما كلمه عبد الله حتى مات^(٣).



-
- (١) قال الغزالي : وإنما استجراً - عبيد الله - على المخالفة لعله بتغيير
الزمان ، وإنما غضب عليه - أبوه - لإطلاقه بالمخالفة ظاهراً من غير إظهار
العدو . من الاحياء (٢ : ٤٨ - ٤٩) .
- (٢) مسند احمد ، ٣٦ : ٧٦ .
- (٣) مسند احمد (٢ : ٣٦) .

علمه

مُعرف ابن عمر بالعلم والفقہ ، وطول ملازمة النبي صلى الله عليه وسلم ، وحفظ القرآن الكريم وفهم آياته وأحكامه ، وعاش طويلاً فاحتاج الناس إلى علمه وفقهه .

ويتحلى إلى جانب علمه النافع الغزير بالتواضع والورع والدقة ؛ فلا يفتي إلا بما يعلم ، ولا يقول برأيه ، ولا يزيد في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ينقص ، ولا يجيب عما لم يقع . ولئن فاز غيره بالرياسة والملك ، فقد فاز هو بمكانة العالم التقي الثقة ، يتبادر الناس إلى سؤاله ، ويتطلعون إلى أعماله ، ويحفظون كلماته لاخوفاً ولا طمعاً ، وإنما بحبة خالصة لله ، وهي منزلة أرفع وأسلم في الدنيا والآخرة وعند الله والناس ، وكان ابن عمر يعرف بحبة الناس له ويتحدث عنها ؛ قال مجاهد : كنت مع ابن عمر فجعل الناس يسلمون عليه حتى انتهى إلى دابته ، فقال لي ابن عمر : يا مجاهد ؛ إن الناس يحبونني حباً لو كنت أعطيهم الذهب والورق^(١) ما زدت^(٢) .^(٣)

(١) الورق : اللصة .

(٢) أي ما زدت بحبة عندهم .

(٣) الطبقات (٤ : ١٦٨) .

ويظهر علم ابن عمر من خلال حفظه للقرآن الكريم ، وروايته
للأحاديث ، وفقه وفتاواه ، وأقواله التي أُثِرَتْ عنه .

حفظ القرآن الكريم

كان مسجد النبي ﷺ في المدينة مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم ،
وكان يُسمع له ضجة بتلاوة القرآن حتى أمر الرسول صلى الله عليه وسلم
أصحابه أن يخفضوا أصواتهم لئلا يتغالطوا . وعبد الله بن عمر من طلاب
هذه المدرسة الخالدة الملازمين لها ليلاً ونهاراً ؛ إذ كان شاباً عزباً متفرغاً
من مشاغل الحياة وأعبائها ، ويجد من أستاذه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومن أبيه عمر كل تشجيع ومساعدة ، فحفظ القرآن وعرضه على النبي
صلى الله عليه وسلم ؛ ذكر السيوطي في كتابه « الإتحاف » نقلاً عن
كتاب « القراءات » المنسوب إلى أبي عبيد - القاسم بن سلام - أسماء
الذين جمعوا كتاب الله في صدورهم وعرضوه على النبي صلى الله عليه وسلم ،
فكانوا بذلك تلامذة له ، وكان شيخاً لهم ، وعد منهم العبادلة الأربعة ،
وهم : عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو ، وعبد الله بن عباس ، وعبد
الله بن الزبير ، رضي الله عنهم^(١) .

وقد مر معنا أن ابن عمر قال عن نفسه في رده على الحجاج :

(١) انظر كتاب مباحث في علوم القرآن الدكتور صبحي الصالح

(ص ١٧٠)

« فَإِنَّ مَنْ جَمَعَ كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَيْسَ بِعَبِيٍّ... »^(١) الخ .
 وكان يتعهد هذا الحفظ لكتاب الله ، ويخشى على ما في صدره من
 آيات القرآن التفلت والنسيان ، خاصة وهو الراوي لحديث النبي صلى الله
 عليه وسلم : « إِنَّمَا مِثْلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ كَمِثْلِ صَاحِبِ الْإِبْلِ الْمُعْتَقَلَةِ »^(٢)
 « إِنِّ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ »^(٣) .

ولم يكن حفظه للقرآن الكريم بقصد الدراسة والثقافة والاطلاع ،
 ولا بقصد التذوق والمتاع ، وإنما كان القصد والهدف تلقي أوامر القرآن
 والعمل بها في خاصة شأنه وشأن الجماعة^(٤) ؛ ولذلك كان بطيئاً في تعلم
 الآيات التي يحفظها ويعمل بها ؛ فقد روي أنه بقي أربع سنوات في تعلم
 سورة البقرة ؛ أخرج ابن سعد عن ميمون ، أن ابن عمر رضي الله عنهما
 تعلم سورة البقرة في أربع سنين^(٥) .

- (١) انظر تمة الرد في صحيفة (١٠٧) من هذا الكتاب .
- (٢) الأبل المعلقة : المسوكة بالعقال ، فصاحب الأبل المعلقة إن
 لازمها بقيت وإن تركها ذهبت ، كذلك صاحب القرآن إن تعاهده بال تلاوة
 بقي له وإلا ذهب عنه ونسيه .
- (٣) رواه البخاري ومسلم .
- (٤) انظر كتاب « معالم في الطريق » لثري أن هذا كان شأن
 الصحابة كأم .
- (٥) الطبقات (٤ : ١٦٤) وحياة الصحابة (٣ : ٧٤١) .

المسيب^(١) ، وأسلم^(٢) مولى عمر ، ونافع^(٣) موله ، وخلق كثير .
قال النونوي : واعلم أن ابن عمر أحد الستة الذين هم أكثر الصحابة
رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم وهم : أبو هريرة ، ثم ابن عمر ، ثم
أنس ، وابن عباس ، وجابر ، وعائشة^(٤) .

وقد ساعد ابن عمر على الإكثار من الرواية تقدم إسلامه ، وطول
عمره ، ومخاطبته للرسول صلى الله عليه وسلم ؛ فقد كانت أخته حفصة

(١) « سعيد بن المسيب » القرشي الخزومي ، قال نافع عن ابن عمر : هو
والله أحد الثقلين ؛ وروى أنه كان إذا شئ عن شيء يقول : « سلوا سعيد
ابن المسيب » وعن ميمون بن مهران قال : قدمت المدينة فسألت عن أعلم
أهل المدينة ، فدفعت إلى سعيد بن المسيب وقال قتادة : ما رأيت أعلم بالحرام
والحلال منه . وقال سليمان بن موسى : كان أفقه التابعين . وقال العجلي :
كان رجلاً صالحاً فقيهاً ، وكان لا يأخذ العطاء وكانت له بضاعة يتجر بها
في الزيت .

(٢) « أ - لم مولى عمر » من سبي اليمن قال ابن إسحاق : بعث أبو بكر
عمر بن الخطاب سنة إحدى عشرة ، فأقام للناس الحج ، وابتاع فيها أ - لم وهو
من الحبشة . ادركه النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره .

(٣) « نافع المدني » من أئمة التابعين بالمدينة ، كان علامة في فقه الدين
متقدماً على رياسته ، كثير الرواية للحديث ، ثقة لا يعرف له خطأ في جميع
ما رواه وهو دليلي الأصل مجهول السبب أصابه عبدالله بن عمر صفيراً في
بعض مقاربه ونشأ في المدينة .

(٤) تهذيب الأسماء واللغات (١ : ٢٨٠) .

قروج النبي صلى الله عليه وسلم ، فسهل ذلك عليه دخوله وخروجه على
الرسول الكريم (١) .

فروي عنه (٢٦٣٠) حديثاً ، أخرج له الشيخان - البخاري ومسلم -
(٢٨٠) حديثاً ، اتفقا على (١٦٨) حديثاً منها ، وانفرد البخاري بـ
(٨١) حديثاً ، ومسلم بـ (٣١) حديثاً ، وأحاديثه في الكتب الستة
والمسانيد وسائر السنن (٢) .

وكان الناس يحرصون على لقاء ابن عمر ومجالسته لسباع ما عنده من
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ لقلة ما يحدث ، ولعنايته بالحديث
فلا يزيد فيه ولا ينقص ؛ فذهن الشعبي قال : جالست ابن عمر سنة فما
سمعته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً (٣) . وعن أبي جعفر
محمد بن علي قال : لم يكن من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
أحدٌ أحذَرَ إذا سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً ألا يزيد فيه
ولا ينقص منه ولا ولا من عبد الله بن عمر (٤) . وقال إسحاق بن سعيد :

(١) السنة قبل التدوين للدكتور محمد عجاج الخطيب (ص ٤٧١) .

(٢) خلاصة تذهيب الكمال (ص ٢٠٧) .

(٣) الطبقات (٤ : ١٤٥) .

(٤) الطبقات (٤ : ١٤٤) .

ما رأيت أحداً أشد اتِّقاءً للحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابن عمر ^(١) .

ونقل ابن حجر ، أن ابن عمر كان يتحفظ ^(٢) ما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٣) .

وكان يشير في حديثه إلى مراقبته لفعل النبي صلى الله عليه وسلم للتأكيد على مداومته صلى الله عليه وسلم لذلك الفعل ؛ فيقول :

« رمقت رسول الله صلى الله عليه وسلم شهراً ، وكان يقرأ في الركعتين قبل الفجر : (قل يا أيها الكافرون) و (قل هو الله أحد) أخرجه الترمذي .

أصح الأسانيد

قال البخاري : أصح الأسانيد مطلقاً : مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر . ويسمى هذا الإسناد مسبك الذهب ^(٤) .

قال أبو منصور التميمي : فعلى هذا أصحها : الشافعي ، عن مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر ؛ لإجماع أهل الأحاديث وغيرهم على أن الشافعي أجل الرواة عن مالك ^(٥) .

(١) (٢١٩) الإصابة (٣ : ٢٢٠) .

(٢) تحفظ : أي كان يحترز في حفظه للحديث فلا يزيد ولا ينقص .

(٣) (٤) ويعرف بسلسلة الذهب .

(٥) تهذيب الأسماء واللغات (١ : ٢٨٠) .

غاذج من مروياته

وهذه بعض الأحاديث التي رواها ابن عمر عن رسول الله ﷺ ،
تؤرخ من اختيارها إظهار ثلاثة أمور :

أ - عناية ابن عمر ودقته في رواية الحديث .

ب - اقتران الرواية عنده بالعمل والتطبيق .

ج - تلقي المسلمين لهذه الأحاديث بالقبول واشتهارها بينهم .

١ - عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان »^(١) .

وفي رواية : « بني الإسلام على خمسة : أن يؤحد الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصيام رمضان ، والحج » فقال رجل : « الحج وصيام رمضان ؟ » قال : لا « صيام رمضان والحج ، هكذا سمعته من رسول الله ﷺ عليه وسلم »^(٢) .

٢ - وعنه قال : كنا إذا بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة يقول لنا : « فيما استطعت - أو قال - استطعت »^(٣) .

(١ و٢) رواه البخاري ومسلم .

(٣) رواه البخاري ومسلم .

٣ - وعنه أن رسول الله ﷺ قال : « على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب أو كره ، إلا أن يؤمر بمعصية ، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة »^(١).

٤ - وعنه قال لرجل أراد سفرأهلم أو دعك كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يودعنا : « أستودع الله دينك وأمانتكم وخواتيم عملك » ، قل قبلت ورضيت ، ثم قال : قل لي مثل ماقلت لك ففعل^(٢).

٥ - وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يقيمنا أحدكم رجلاً من مجلسه ثم يجلس فيه ، ولكن توسعوا وتفسحوا » .

وكان ابن عمر إذا قام له رجل من مجلسه لم يجلس فيه .^(٣)

٦ - وعن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من حمل علينا السلاح فليس منا »^(٤).

٧ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه القرآن فهو يقوم به آناء الليل

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود والنسائي .

(٢) رواه الترمذي وأبو داود .

(٣) رواه البخاري ومسلم .

(٤) رواه البخاري (٩ : ٥٤) .

وآناء النهار ، ورجل آتاه الله مالاً فهدى ينفعه آناء الليل وآناء النهار » .^(١)

٨ - وعنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كم من عاقل عقل عن الله تعالى أمره ، وهو حقير عند الناس ذميم المنظر ينجو غداً ، وكم من ظريف اللسان جميل المنظر عند الناس يهلك غداً يوم القيامة » .^(٢)

٩ - وعنه قال : أتى علينا زمان وليس أحد أحق بدیناره ولا بدرمه من أخيه المسلم ، حتى كان حديثاً . ولقد سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا ضن^(٣) الناس بالدينار والدرهم ، وتبايعوا بالعينة^(٤) ، واتبعوا أذناب البقر^(٥) ، وتركوا الجهاد في سبيل الله عز وجل ، أدخل الله عليهم ذلاً ثم لا ينزعه عنهم حتى يراجعوا دينهم »^(٦) .

(١) رواه البخاري ومسلم ، والآاء : الساعات .

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم (١ : ٢١٣) .

(٣) ضن : بخل .

(٤) العينة : هو أن يبيع من رجل «لمعة بثمان معلوم الى أجل مسمى ، ثم يشتريها بأقل من السعر الذي باعها به ، وهي حرام لأنها احتيال ظاهر لأكل الربا .

(٥) أي عملوا في الزراعة وتركوا الجهاد .

(٦) حلية الأولياء (١ : ٢١٤) .

فقهه وفتاواه

احتاج المسلمون بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى فقهه الصحابة الذين عرفوا بالعلم، وملازمة النبي صلى الله عليه وسلم، وحفظ القرآن، ورواية الحديث؛ ليفتوهم في وقائع حياتهم المستجدة؛ وليبينوا لهم مبادئ الإسلام وعبادته، ولينقلوا لهم سنة النبي ﷺ.

وعبد الله بن عمر كان شاباً متفرغاً للجهاد في سبيل الله وتحصيل العلم في صحبة النبي صلى الله عليه وسلم، وبقيت هذه خطته في حياة أبي بكر وعمر وعثمان رضي عنهم، وبعد الفتنة الأولى - التي استشهد فيها عثمان - تفرغ تقريباً للعلم والعبادة، وبقي حتى احتاج الناس إلى علمه وفقهه في الدين؛ فعن زياد بن ميناء قال: كان ابن عباس، وابن عمر، وأبو سعيد الخدري، وأبو هريرة، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وجابر ابن عبد الله، ورافع بن خديج، وسلمة بن الأكوع، وأبو واقد الليثي، وعبد الله بن بُحَيَّة، مع أشباه لهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتون بالمدينة، ويحدثون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من لدن توفي عثمان إلى أن توفوا، والذين صارت إليهم الفتوى منهم: ابن عباس، وابن عمر، وأبو سعيد الخدري، وأبو هريرة، وجابر بن عبد الله^(١).

(١) حياة الصحابة (٣ : ٧٨٧) .

ولكن ابن عمر كان قليل الفتيا بالذنبه لغيره من الصحابة ، والسبب
أنه لا يقول برأيه ، ويخشى أن يخالف أصحابه الذين سبقوه ؛ مما أدى
إلى القول : « عبد الله بن عمر جيد الحديث غير جيد الفقه » (١) .

ويوضح نافع مولى ابن عمر الفرق بين تصدي ابن عباس للفتيا
وإحجام ابن عمر عنها فيقول : كان ابن عمر وابن عباس - رضي الله
عنها - يجلسان للناس عند قدوم الحاج ، فكانت أجلس إلى هذا يوماً
وإلى هذا يوماً ، فكان ابن عباس يجيب ويقتي في كل ما سئل عنه ،
وكان ابن عمر يرد أكثر مما يقتي (٢) .

وكان ابن عمر يخاف أن يجتهد في فتياه فيخطئ ... وعلى الرغم
من أنه يحيا وفق تعاليم دين عظيم ؛ يجعل للمجتهد الخطى وأجرأ وللمصيب
أجرين ، فإن ورعه كان يسلبه الجسارة على الفتيا (٣) بـ فغن نافع أن
رجلا سأل ابن عمر عن مسألة فطأ طأ ابن عمر رأسه ولم يجبه حتى ظن
الناس أنه لم يسمع مسأله ، قال : فقال له : - يرحمك الله - أما سمعت
مسألي ؟ قال : بلى ، ولكنكم كأنكم ترون أن الله ليس بسائلنا

(١) أسد الغابة (٣ : ٣٤٢) .

(٢) - ير أعلام النبلاء (٣ : ١٤٧) .

(٣) رجال حول الرسول (١ : ١٢٠) .

عما تسألوننا عنه ، أتركتنا - يرحمك الله - حتى نتفهم في مسألتك ؛
فإن كان لها جواب عندنا وإلا أعلمناك بأنه لا علم لنا به (١) .

وعن عقبة بن مسلم ، قال : صحبت ابن عمر أربعة وثلاثين شهراً ،
فكان كثيراً ما يسأل فيقول : لا أدري ، ثم يلتفت إليّ فيقول :
أتدري ما يريد هؤلاء ؟ يريدون أن يجعلوا ظهورنا جسراً إلى جهنم (٢) .

وقول ابن عمر للسائل « لا أدري » أو « لا أعلم » ؛ علم ولا شك ،
وشجاعة تدعو إلى الإعجاب والتقدير ؛ فعن مجاهد قال : سئل ابن عمر
رضي الله عنهما عن فريضة من الصلابة فقال : لا أدري ، ف قيل له : ما
يمنعك أن تجيبه ؟ فقال : سئل ابن عمر عما لا يدري فقال : لا أدري (٣) .

وعن عروة قال : سئل ابن عمر عن شيء فقال : لا علم لي به ،
فلما أدبر الرجل قال لنفسه : سئل ابن عمر عما لا علم له به فقال : لا علم
لي به (٤) .

وعن ابن عمر قال : إليكم عني فإني كنت مع من هو أعلم مني ،
ولو علمت أنني أبقى حتى تفتقروا إليّ لتعلمت لكم (٥) .

وأهم ما يستوقف الإنسان في فقه ابن عمر وفتاواه هو إجابته على

(٢١) حياة الصحابة (٣ : ٧٢٢) .

(٢٣) حياة الصحابة (٣ : ٧٢١) .

(٥) سير النبلاء (٣ : ١٦٠) . وفي الطبقات حتى تلتصوا

الأسئلة التي توجه إليه بأخبار ووقائع من حياة النبي صلى الله عليه وسلم وحياة أصحابه ، مكتفياً بذكر الدليل عن المصطلحات الفقهية ، وهو أسلوب يروق للكثير من الناس في عصرنا الحاضر ؛ فقد أخرج الترمذي عن جبلة بن سحيم ، أن رجلاً سأل ابن عمر عن الأضحية أواجبة هي ؟ قال : ضحى النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون فأعادها ، فقال : أتعقل ؟ ! ضحى النبي ﷺ والمسلمون .

وعن زياد بن جبير قال : رأيت رجلاً جاء ابن عمر فسأله فقال : إنه نذر أن يصوم كل يوم أربعاء ، فأتى ذلك على يوم أضحى أو فطر ، فقال ابن عمر رضي الله عنهما : أمر الله بوفاء النذر ، ونهانا رسول الله ﷺ عن صوم يوم النحر (١) .

وإذا سئل وأجاب من اجتاده وفهمه ثم تذكر حديثاً عن رسول الله ﷺ في نفس موضوع السائل ؛ تمنى أن يصحح للسائل ما أجابه به ؛ فعن إسماعيل بن عبيد قال : قلت لابن عمر : أطول الركوع أفضل في الصلاة أم طول السجود ؟ قال : يا ابن أخي ! خطايا الإنسان

(١) مسند أحمد (٢ : ٢) .

في رأسه وإن السجود يحط الخطايا^(١) . وأخرج ابن نصر من حديث ابن عمر : أما إني لو عرفته (أي السائل) لأمرته أن يكثر الركوع والسجود ؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن العبد إذا قام إلى الصلاة أتى بذنوبه كلها فوضعت على عاتقه ، فكلمها ركع أو سجد تساقطت عنه^(٢) » .

وكان من منهج ابن عمر الصحابي الفقيه عدم الإجابة عما لم يقع ، وهو منهج عمر بن الخطاب ، وزيد بن ثابت ، وأبي بن كعب ، وعمار بن ياسر رضي الله عنهم^(٣) ، وهو منهج واقعي يتعد بالفقه من أن يصبح فقه أوراق^(٤) مبنياً على الإكثار من الفرياب ، وهذه متاهة عرفها الفقه الاسلامي فيما بعد ، وأضاع فيها الفقهاء الجهد والوقت ، وملأوا الخواشي والهوامش في فرضيات خيالية بعضها مستحيل الوقوع .

أقواله :

وأقوال الانسان مرآة نفسه ، وإعلان صريح عن مواقفه ومبادئه وأخلاقه ، وحصيلة لإيمانه وتجاربه وثقافته ، ولقد تفجرت ينابيع

(٢١) الزهد والرفائق لابن المبارك (ص ٤٥٧) .

(٣) حياة الصحابة « ٧٣٧ » .

(٤) انظر الفرق بين « فقه الحركة » و « فقه الأوراق » في كتاب

فقه الدعوة (ص ٨٣) .

الإيمان في قلب ابن عمر وعلى لسانه ، وتربى في مدرسة القرآن فلا ينطق إلا بالحكمة ولا يقول إلا الحق ، وتأثر بفصاحة الرسول ﷺ ، وروى الى جانب الأحاديث النبوية العديد من كلمات الصحابة وخطبهم ومواعظهم ، وخاصة ما نقله عن أبيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وتعظم قيمة أقوال ابن عمر وتدخل إلى القلوب وتؤثر في النفوس ، لأنها قد ترجمت فعلاً إلى عمل وواقع وسلوك ، وسنجد في كل كلمة من كلماته ما سبق وعرفناه من سيرته وأعماله .

وهذه نماذج من أقواله في مجالات مختلفة ؛ انتقيتها بقصد العبرة والعظة ، والتأكيد على توافق العمل مع القول لديه .

قوله في صفة الصحابة

« من كان مستنأ فليستن بمن قد مات ، أولئك أصحاب محمد ﷺ ، كانوا خير هذه الأمة . أبرها قلوباً ، وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفاً ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ ونقل دينه ، فتشبهوا بأخلاقهم وطوائفهم ، فهم أصحاب محمد ﷺ كانوا على الهدى المستقيم واللهرب الكعبة »^(١)
وسئل ابن عمر « هل كل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يضحكون؟
قال : نعم ! والإيمان في قلوبهم أعظم من الجبال »^(٢) .

(١) حلية الأولياء ١ : ٥٥ - (٦) .

(٢) حلية الأولياء (١ : ٣١١) .

قوله في الفتنة

« إنما مثلنا في هذه الفتنة كمثل قوم كانوا يسبرون على جادة يعرفونها ،
 فيبناهم كذلك ؛ إذ غشيتهم سحابة وظلمة ، فأخذ بعضهم يميناً وشمالاً
 فأخطأ الطريق ، وأقمنا حيث أدر كئنا ذلك ، حتى جاءى الله ذلك عنا
 فأبصرنا طريقنا الأول ، فعرفنا وأخذنا فيه ، إنما هؤلاء فتيان قریش
 يقتلون على هذا السلطان وعلى هذه الدنيا ، ما أبالي أن لا يكون لي ما
 يقتل بعضهم بعضاً عليه بنعلي هاتين الجرداوين ^(١) ^(٢) .

« لو اجتمعت على الأمة إلا رجلين ما قاتلتها » ^(٣) .

« لا أقاتل في الفتنة وأصلي وراء من غلب » ^(٤) .

حديثه عن نفسه

« لو وضعت أصبعي في خمر ما أحبيت أن تبغني » ^(٥) .

وكتب إليه عبدالعزيز بن مروان : أن ارفع إلي حاجتك ، قال :

فكتب إليه عبدالله بن عمر : « إني سمعت رسول الله صلى الله عليه

(١) الجرداوين : الباليين . (٢) حلية الأولياء (١ : ٣١٠) .

(٣) سير أعلام النبلاء (٣ : ١٦١) .

(٤) الطبقات (٤ : ١٤٩) .

(٥) حلية الأولياء (١ : ٣٠٧) .

وسلم يقول : « ابدأ بمن تعول ، واليد العليا خير من اليد السفلى »
ولإني لأحسب اليد العليا المعطية والسفلى السائلة ، وإني غير سائلك شيئاً ،
ولا راد رزقاً ساقه الله إليّ منك ^(١) .

وقال : « كفت يدي فلم أندم والمقاتل على الحق أفضل ^(٢) » .

أقواله في الزهد والورع

« يا ابن آدم ، صاحب الدنيا بيدك وفارقها بقلبك وهمك ، فإنك موقوف
على عملك ، فخذ مما في يديك لما بين يديك وعند الموت يأتيك الخير ^(٣) .

» وقال مجاهد كنت أمشي مع ابن عمر على خربة فقال : قل
يا خربة ما فعل أهلك ؟ فقلت : يا خربة ، ما فعل أهلك ؟ فقال ابن عمر :
ذهبوا وبقيت أعمالهم ^(٤) .

» وقال ابن عمر رضي الله عنهما : لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا ،
وصتمت حتى تكونوا كالأوتار لم يقبل ذلك منكم إلا بورع حاجز ^(٥) .

(١) مسند الامام أحمد (٢ : ١٥٢) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٣ : ١٤١) .

(٣) الخلية (١ : ٣١٢) .

(٤) احياء علوم الدين (٢ : ٩٢) .

أقواله في العلم والعبادة والعمل

كتب رجل إلى ابن عمر رضي الله عنهما يسأله عن العلم ، فكتب إليه ابن عمر :

« إنك كتبت تسألني عن العلم ؛ فالعلم أكبر من أن أكتب إليك به ، ولكن إن استطعت أن تلقى الله كاف اللسان عن أعراض المسلمين ، خفيف الظهر من دمائهم ، خيمص البطن من أمواهم ، لازماً لجماعتهم ، فافعل » .^(١)

وقال : « العلم ثلاثة أشياء : كتاب ناطق ، وسنة ماضية ، ولا أدري » .^(٢)

وقال : « لا يكون الرجل من العلم بمكان حتى لا يحسد من فوقه ، ولا يحقر من دونه ، ولا ينبغي بالعلم ثمناً » .^(٣)

وقال : « لقد عشت برهة من دهرى ، وإن أهدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن ، وتنزل السورة على محمد ﷺ فيتعلم حلالها وحرامها وما

(١) سيرة النبلاء (٣ : ١٤٨) .

(٢) حياة الصحابة (٣ : ٦٤٩) .

(٣) حلية الأولياء (١ : ٣٠٦) .

ينبغي أن يقف عنده منها كما تعلمون أنتم القرآن ، ثم لقد رأيت رجالاً
يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان ، فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمة ،
ما يدري ما أمره ولا زاجره ، وما ينبغي أن يقف عنده منه ، وينثره
نثر الدقل^(١) .^(٢)

وعن آدم بن علي عن ابن عمر قال : إن أناسا يدعون يوم القيامة
المنقوصين : فقال وما المنقوصون ؟ قال ينقص - أو ينقص - أحدهم
صلاته بالتفاتة ، ووضوئه .^(٣)

« وسئل عن (لا إله إلا الله) هل يضر معها عمل كما لا ينفع مع تركها
عمل ؟ فقال ابن عمر : عَشَّ ولا تغتر » .^(٤)

« وقيل له إنا ندخل على أمرائنا فنقول القول ، فإذا خرجنا قلنا
غيره ، فقال : كنا نعد هذا نفاقاً على عهد رسول الله ﷺ » .^(٥)

(١) الدقل : رديء التمر .

(٢) حياة الصحابة (٣ : ٦٦٣) .

(٣) حلية الأولياء (١ : ٣١١) و « عَشَّ ولا تغتر » من أمثال

العرب يريد عمل الصالحات ولا تهملها وتتكلم على الأيمان ؛ فإن الإيمان عقيدة
وعمل ، عن هامش كتاب أخبار عمر للطنطاوي (ص ٥٨٣) .

(٤) إحياء علوم الدين (٣ : ١٥٥) .

ومن جميل كلامه

« لا يصيب عبد شيئاً من الدنيا إلا نقص من درجاته عند الله عز وجل وإن كان عليه كريماً »^(١).

« خذوا بحظكم من العزلة »^(٢).

« لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعد الناس حمقى^(٣) في دينه »^(٤)

« أحق ما طهر العبد لسانه »^(٥).

« من سكرم المرء طيب زاده في سفره وبذله لأصحابه »^(٦).

« البر شيء هين : وجه طلق ، وكلام لين »^(٧).

« انقروا من تبغضه قلوبكم »^(٨).

(١) حلية الأولياء (١ : ٣٠٦) .

(٢) لطبقات (٤ : ١٦١) .

(٣) حمقى في دينه : أي حتى يعتبر الناس قليلي عقل لا يثابروا في الدنيا

الغاية على الآخرة الباقية .

(٤) حلية الأولياء (١ : ٣٠٦) .

(٥) حلية الأولياء (١ : ٣٠٧) .

(٦) إحياء علوم الدين (٢ : ٩٥) .

(٧) اسد الغابة (٣ : ٣٤٣) .

(٨) أخيار عمر للطنطاوي (ص ٥٧٧) .

« ليس الشح أن يمنع الرجل ماله ، وإنما الشح أن يطمع فيها
ليس له » . (١)

« أحب الطعام إلى الله ما كثرت عليه الأيدي » . (٢)

« لمبغض عباد الله إلى الله كل طعان لعان » . (٣)



(١ و ٢) أخبار عمر الطنطاوي (ص ٥٧٧) .

(٣) الزهد والرقائق لابن المبارك (ص ٢٣٧) .

جَهَادُهُ

الجهاد في سبيل الله فريضة إسلامية ، وعبادة أمر الله المسلمين بها ؛ كما أمرهم بالصلاة وسائر العبادات ؛ قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون . وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم ...) .^(١)

ولقد استجاب ابن عمر لأمر الله ، وعرف عظيم أجر المجاهدين ؛ فأوتي القوة في الجهاد .

وحقّ لمن كان أبوه بطلاً من أبطال الاسلام ، وأستاذه قائداً لأبطال ، أن يتقدم راغباً في الجهاد وهو لا يزال غض الشباب لم يبلغ الخامسة عشرة من عمره ، وقد تقدم كيف رده الرسول صلى الله عليه وسلم مرتين في بدر وأحد رحمة به وإشفافاً عليه ، وكان النبي ﷺ يحقق لابن عمر وأقرانه من الصغار بعض رغبتهم في الجهاد ؛ فيكلفهم مجرسة الذرية في المدينة كتدريب أولي على تحمل المسؤولية وحمل السلاح ؛ ورواه قال : ... ورد رسول الله ﷺ نفراً يوم أحد استصغروهم ،

منهم : أسامة بن زيد ، وابن عمر ، والبراء ، وزيد بن أرقم ، وزيد بن ثابت ، وجعلهم حرساً على الذرية .^(١)

وتعلم ركوب الخيل والسباق عليها تدريب لإبد منه قبل الانضواء تحت رايات الجهاد ، فكان ابن عمر ممن يسابق على الخيل أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقد أخرج البخاري في الجهاد عن عبدالله بن عمر قال :

« سابق رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الخيل التي قد ضُمِرَتْ فأرسلها من الحفياء ، وكان أمدها ثنية الدواع ، وسابق بين الخيل التي لم تضمر ، فأرسلها من ثنية الدواع ، وكان أمدها مسجد بني زريق ، وكان ابن عمر ممن سابق فيها ، وفي رواية مسلم : قال ابن عمر : فكنت فيمن أجرى ، فطفف^(٢) في الفرس المسجد .^(٣)

وبعد أن أتم الخامسة عشرة شهد الخندق وما بعدها من المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . وشهد في عهد الخلافة الراشدة اليرموك ، وفتح مصر ، وفتح أفريقية^(٤) .

(١) سير أعلام النبلاء (٣ : ١١١) .

(٢) أي وثب لي حتي كان يساوي المسجد .

(٣) جامع الاصول (٥ : ٣٨) .

(٤) تهذيب الأسماء واللغات (١ : ٢٧٩) .

وسجل لنا المؤرخون وأصحاب السير أن ابن عمر قدم الشام والعراق والبصرة وفارس غازياً^(١)، وروى نافع مولاه صوراً من البطولة والمشاق التي وقعت له في غزوه في تلك البلاد فقال :

« إن ابن عمر بارز رجلاً في قتال أهل العراق فقتله وأخذ سلبه^(٢) .
وقال : « لما غزا ابن عمر نهاوند أخذه ربو فجعل ينظم الثوم في الحيط ثم يجعله في حسوه فيطبخه^(٣) ، فإذا أخذ طعم الثوم طرحه ثم حساه^(٤) .

وقد مر أنه غزا مع يزيد بن معاوية عام تسع وأربعين هجرية ؛ ليسهم في الغزو شيخاً بعد أن أسهم فيه بنصيب وافٍ شاباً وكهلاً .

وكان ابنه عمر في جهاده قد تعلم من كتاب الله ومن هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ أن تحقيق النصر في جهاد الأعداء مشروط بتحقيق جهاد الأنفس ، والتزام الطاعات وقهر الشهوات ، ولتتنا اليوم نعي هذا الدرس من ابن عمر لرجل متحمس للقتال ؛ فعن عبد الله بن عمر ؛ قال له رجل : « أريد أن أبيع نفسي من الله ، فأجاهد حتى أقتل ، فقال : ويحك ، وأية الشروط ؟ أين قوله تعالى : (الثابتون ، العابدون ، الحامدون ، السائحون ، الراكعون ، الساجدون ،

(٢١) - سير أعلام النبلاء (٣ : ٧) (١) .

(٣) الطبقات (٤ : ١٥٦) .

الآمرون بالمعروف والنهي عن المنكر ، والحافظون لحدود الله ،
وبشر المؤمنين (١) .

وعندما حدثت الفتن والحروب بين المسلمين اعتزل ابن عمر القتال ،
وتفرغ للعلم والعبادة ، وترك المنازعة في الخلافة ؛ مع كثرة ميل أهل
الشام إليه ومحبتهم له (٢) . وهذا من الجهاد الأكبر الذي انتصر فيه على
نفسه ، فوصفه العلماء بالشجاعة والبطولة .



(١) سورة التوبة : ١١٢ ويريد ابن عمر بالشروط ما ذكره من التوبة
والعبادة والحمد وباقي الأشياء التي عدّها في الآية . جامع الأصول (٢ : ٥٨٠)
- (٥٨١) .

(٢) أسد الغابة (٣ : ٣٤٢) .

عبادته

وإذا كانت مهمة الإنسان الأولى في هذه الحياة هي عبادة الله تعالى؛ فإن عبد الله بن عمر كان يقوم بهذه المهمة حتى آخر أيام حياته على أكمل وجه، يحرص على قيام الليل وصلاة الجماعة، ويسرد الصوم^(١) ولا يفطر إلا في السفر، ويحج في كل عام، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويكثر من الدعاء؛ حتى عرفه الناس العابد التقي والمثابر الأواب. ولم يغتر بما حضره من المشاهد مع رسول الله ﷺ، ولا بالمعارك والفتوح التي خاضها مجاهداً في سبيل الله؛ بل عُرف بالمثابرة التي لا تعرف الكلل، وكان يعلم الناس متابعة العمل الصالح وعدم الاتكال والغرور؛ فعن معبد الجهني قال: قلنا لعبد الله بن عمر: رجل لم يدع من الخير شيئاً إلا عمل به، إلا أنه كان شاكراً في الله عز وجل؟ قال: هلك البتة. قلت: فرجل لم يدع من الشر شيئاً إلا عمل به إلا أنه كان يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؟ قال: بعش ولا تغتر^(٢).

ويطيب لنا أن نعيش مع ابن عمر بأرواحنا وقلوبنا، نوقه عن قرب في صلاته وحجه، ونقرأ عن صومه ودعائه، ونوافقه وهو يخاطب الناس ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويعلمهم بالقول والعمل سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

(١) يسرد الصوم: أي يواليه ويتابعه.

(٢) حلية الأولياء (١: ٣٠١). ومر في الصحيفة ١٥٣ تفسير عبارة

(عش ولا تغتر).

صلاته

الصلاة صلة بين الانسان وخالقه ، يقف فيها المسلم بين يدي ربه
يناجيه ويدعوه ، ولذلك كان ابن عمر يستشعر عظمة هذا اللقاء مع الله ،
فينسبر إلى الصلاة بكل سكونة ووقار ، ويتجرى القبلة بوجهه
وكفيه وقدميه :

فعن زيد بن عبد الله الشيباني قال : رأيت ابن عمر رضي الله عنها
إذا مشى إلى الصلاة دبّ ديبياً ؛ لو أن غملة مشت معه قلت : لا يسبقها^(١) .
وعن طاووس قال : مارأيت مصلياً مثل ابن عمر أسد استقبالاً للقبلة
بوجهه وكفيه وقدميه^(٢) .

وعن واسع بن حبان قال : كان ابن عمر يحب أن يستقبل
كل شيء منه القبلة إذا صلى ، حتى كان يستقبل بإبهامه القبلة^(٣) .
وكان يُحضّر قلبه ويستجمع فكره في صلاته لتحصيل الخشوع ،

(١) الطبقات (٤ : ١٥٤) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٣ : ١٥٨) والحلية (١ : ٣٠٤) .

(٣) الطبقات (٤ : ١٥٧) . وتشدد ابن عمر ظاهر في هذا الأمر ؛

فلا يلتفت بوجهه ولا يميل بكفيه وقدميه عن القبلة .

فلا يدع في موضع الصلاة مصحفاً ولا سيفاً إلا نزعهُ ولا كتاباً إلا محاه^(١).
وفي السجود حيث يكون العبد أكثر قرباً من ربه ، يُسمع عبد الله بن
عمر يدعو دعاء العبد الشاكر المنيب ؛ عن أبي بردة قال : صليت إلى
جنب ابن عمر ، فسمعتُه حين سجد وهو يقول : اللهم أجعلك أحب
شيء إلي ، وأخشى شيء عندي . وسمعتُه يقول في سجوده : ربّ بما
أنعمت عليّ فلن أكون ظهيراً للمجرمين^(٢) .

ويحدثنا ابن عمر عن خوفه من الله وعن رجائه منه بعد كل صلاة
فيقول : « ما صليت صلاة منذ أسلمت إلا وأنا أرجو أن تكون
كفارة »^(٣) .

وينقل لنا نافع وصفاً دقيقاً لعمل ابن عمر اليومي ، فلا نجد ما يشغله
إلا الصلاة ، وقضاء حوائجه ، والولاء للمسجد ، وقراءة القرآن ، فعن
نافع أن ابن عمر كان يجلس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
حتى يرتفع الضحى ولا يصلي ، ثم ينطلق إلى السوق فيقضي حوائجه ، ثم
يجيء إلى أهله ، فيبدأ بالمسجد فيصلّي ركعتين ، ثم يدخل بيته^(٤) .

وقيل لنافع : ما كان يصنع ابن عمر في منزله ؟ قال : لا تطيقونه ،

(١) الإحياء (١ : ١٦٤) .

(٢) حلية الأولياء (١ : ٣٠٤) .

(٣) الطبقات (٤ : ١٤٧) .

الوضوء لكل صلاة ، والمصحف بينها ^(١) . وقال : كان ابن عمر يحیی ما بین الظهر إلى العصر ^(٢) .

وأما صلاة الجماعة فإنه كان یحرص علیها کل الحرص ، وهو الراوی عن النبی صلی الله علیه وسلم : « إن صلاة الجماعة تزيد علی صلاة الرجل وحده سبعاً وعشرين » ، وإذا فاتته صلاة العشاء بجماعة أحیا اللیل ، وإذا ترك شخص الفجر والعشاء أساء به الظن ؛ وإذا فاتته صلاة الجماعة ، صام يوماً ، وأحیا لیلته ، وأعتق رقبة ^(٣) ، فعن نافع أن ابن عمر كان إذا فاتته صلاة العشاء فی جماعة أحیا بقية ليلته ^(٤) . وعن ابن عمر قال : « كنا إذا فقدنا الرجل فی الفجر والعشاء أسأنا به الظن » ^(٥) .

وإذا كان الناس يتفاوتون بالطاعات والنوافل ؛ فإن ابن عمر كان یحافظ علی صلاة السنن قبل الفرض وبعده ؛ فقد أخرج ابن جریر

(١) سیر النبلاء (١٤٣ : ٣) .

٢ الخلیة (٣٠٤ : ١) .

(٣) أخبار عمر (ص ٥٦٢) وعزاه إلى نزہة المجالس (١ : ١١٤) .

(٤) سیر النبلاء (١٥٨ : ١) .

(٥) الخلیة (٣٠٣ : ١) .

عن ابن عمر أنه كان يصلي قبل الظهر أربعاً^(١) . وأخرج عنه أيضاً ؛ أنه كان إذا زالت الشمس يأتي المسجد فيصلي ثنتي عشرة ركعة قبل الظهر ثم يقعد . وعن نافع ؛ أن ابن عمر كان يصلي قبل الظهر ثماني ركعات ، ويصلي بعدها أربعاً^(٢) وهو القائل : حفظت من النبي ﷺ عشر ركعات : ركعتين قبل الظهر ، وركعتين بعدها ، وركعتين بعد المغرب في بيته ، وركعتين بعد العشاء ، وركعتين قبل صلاة الصبح^(٣) .

والذي يستوقف النظر ويستدعي الإعجاب والإكبار في نوافل ابن عمر ؛ هو قيامه الليل وتمجده ، فقد كان أخا الليل يقومه مصلياً ، وصديق السحر يقطعه داعياً ومستغفراً ، وقد مر معنا أنه رأى في شبابه رؤيا ، فسرها النبي صلى الله عليه وسلم تفسيراً جعل قيام الليل منتهى آمال عبده ومناط غبطته^(٤) وجوده .

فعن نافع ؛ أن ابن عمر كان يحبي الليل صلاة ثم يقول : يا نافع ، أسحرنا؟ فيقول : لا ، فيعاود الصلاة ، ثم يقول : يا نافع أسحرنا؟ فيقول : نعم ، فيقعد ويستغفر ويدعو حتى يصبح^(٥) .

(١) حياة الصحابة (٣ : ٦١١) .

(٢) رواه البخاري .

(٤) رجال حول الرسول (١ : ١٢٢) بتصرف .

(٥) حلية الأولياء (١ : ٣٠٣) والاصابة (١ : ٣٤٩) .

وعن ابن عون عن محمد قال : كاث ابن عمر كلما استيقظ من الليل صلى^(١). وعن أبي غالب - مولى خالد بن عبد الله - قال : كان ابن عمر ينزل علينا بمكة ، فكان يتجعد من الليل ، فقال لي ذات ليلة قبيل الصبح يا أبا غالب ، ألا تقوم فتصلي ؟ ولو تقرأ بثلاث القرآن ، فقلت : قد دنا الصبح فكيف أقرأ بثلاث القرآن ؟ فقال : إن سورة الإخلاص (قل هو الله أحد) تعدل ثلث القرآن^(٢).

وعن عبد الله بن المبارك عن عمر بن محمد بن زيد قال : أنبأنا أبي ، أن ابن عمر كان له مهراس^(٣) فيه ماء ، فيصلي فيه ما قدر له ، ثم يصير إلى الفراش فيغفي إغفاءة الطائر ، ثم يقوم فيتوضأ ويصلي ، ويفعل ذلك في الليل أربع مرات أو خمسا^(٤).

صيامه

وكان عبد الله بن عمر - رضي الله عنها - يسرد الصوم ، فقد ذكره العلماء مع الصحابة الساردين للصوم ، منهم : عمر ، وابنه ، وأبو طلحة ، وطلحة بن عمرو ، وعائشة^(٥).

(١) حلية الأولياء (١ : ٣٠٤) .

(٢) المهراس : صخرة منقورة يوضع فيها الماء .

(٣) سير النبلاء (٣ : ١٤٣) والإصابة (١ : ٣٤٠) .

(٤) مرآة الجنان (١ : ١٥٥) .

وقال ابن عمر عن أبيه : « ما مات عمر حتى سرى الصوم ^(١) » .
خطيبه أن يتشبه عبد الله بأبيه .

وكان لا يصوم في السفر ولا يكاد يفطر في الحضر ؛
فعن نافع قال : كان ابن عمر لا يصوم في السفر ولا يكاد يفطر في
الحضر ؛ إلا أن يمرض أو أيام يقدّم ، فإنه كان رجلاً كريماً يحب أن
'يؤكل' عنده . قال : وكان يقول : ولأن أفطر في السفر فأخذ
برخصة الله أحب إليّ من أن أصوم ^(٢) .

وكان يشترط الفطر في السفر على من صحبه فيه ؛ فعن حماد بن زيد ،
عن خالد الحذاء قال : كان ابن عمر يشترط على من صحبه : أن لا تصحبنا
بغير جلال ^(٣) ، ولا تنازعنا الأذان ، ولا تصوم إلا بإذننا ^(٤) .

وعن حماد بن سلمة عن أبي ربحانة قال : كان ابن عمر يشترط على
من صحبه في السفر : الفطر ، والأذان ، والذبيحة ، يعني الجزرة ^(٥)
يشترطها للقوم ^(٦) .

(١) الرياض النضرة (٢ : ٥٠) .

(٢) الطبقات (٤ : ١٤٨) .

(٣) بغير جلال : وهو الذي يأكل العذرة والبر .

(٤) الطبقات (٤ : ١٤٨) .

(٥) الجزرة : الشاة التي تذبح للاكل .

(٦) الطبقات (٤ : ١٤٨) .

حج

شهد ابن عمر مع رسول الله ﷺ حجة الوداع ، فوقف معه في موقفه بعرفة ، فكان يقف في ذلك الموقف كلما حج ، وكان كثير الحج ، لا يفوته الحج في كل عام ^(١) ، وكان كثير العمرة ؛ فعن نافع ، كان ابن عمر لا يدع عمرة رجب ^(٢) .

قال ابن عبد البر : كان ابن عمر رضي الله عنها مولعاً بالحج قبل الفتنة ، وفي الفتنة ، إلى أن مات ، ويقولون : إنه كان من أعلم الصحابة بمناسك الحج ^(٣) . وكان الناس يتطلعون إلى أفعاله في الحج ، ويتلقفون كلماته ؛ لما علموا من حرصه على الأسوة برسول الله ﷺ والتبعية لآثاره ، فعن يوسف بن ماهك قال : رأيت ابن عمر حلق رأسه على المروة ثم قال للحلاق : إن شعري كثير وإنه قد آذاني ولست أظلي ، أفتحلقه؟ قال : نعم ، قال : فقام فجعل يحلق صدره ، وأشار بالناس ينظرون إليه ، فقال : يا أيها الناس إن هذا ليس بسنة ولكن شعري كان يؤذيني ^(٤) .

(١) نسب قريش (ص ٣٥١) .

(٢) الطبقات (٤ : ١٦٢) .

(٣) الاستيعاب (٣ : ٩٥١) .

(٤) الطبقات (٤ : ١٥٥) .

وقد مرَّ أن الحجاج أميراً من قبل عبد الملك بن مروان ألا يخالف عبد الله بن عمر في الحج ، ومن يتبع كتب الحديث يجد كثرة الأحاديث التي رواها ابن عمر عن حجة رسول الله ﷺ ، والأخبار في وصف أفعال ابن عمر في الحج والتي كان يقرنها بقوله : « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك » . قال نافع : كان ابن عمر رضي الله عنه إذا دخل أدنى الحرم : أمسك عن التلبية ثم بيت بذي طوى ، ثم يصلي بها الصبح ويغتسل ، ويحدث : أن نبي الله ﷺ كان يفعل ذلك^(١) . وقال في رواية : كان إذا صلى الغداة بذي الحليفة ، أمر براحلته فركبت ثم ركب ، حتى إذا استوت به ، استقبل القبلة قائماً ، ثم يلبي ، حتى إذا بلغ الحرم أمسك ، حتى إذا أتى ذا طوى بات به ، ثم يصلي به الغداة ، ثم يغتسل ، وزعم أن النبي ﷺ فعل ذلك^(٢) .

وكانت تلييته ما حفظه من النبي ﷺ وما زاده هو فيها ؛ فيقول : تلقفت^(٣) من رسول الله ﷺ : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » . وزدت أنا :

(٢٠١) جامع الأصول (٣ : ٨٦ - ٨٧) .

(٣) تلقفت : أي أخذتها بسرعة ، وروي تلقفت وتلقيت .

ليك وسعديك والخير في يدك ، ليك والرغاء إليك والعمل^(١) .

ونتبين حرصه على الحج في كل عام مع تمسكه بآثار النبي صلى الله عليه وسلم من خلال هذا الحوار بينه وبين ولديه ؛ قال نافع : إن عبد الله بن عبد الله ، وسالم بن عبد الله ؛ كلما عبد الله بن عمر رضي الله عنها ؛ حين نزل الحجاج لقتال ابن الزبير ، قال : لا يضرك أن لا تحج العام ، فإننا نخشى أن يكون بين الناس قتال ، يحال بينك وبين البيت ، قال : إن حيل بيني وبينه فعلت كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا معه حين حالت قريش بينه وبين البيت : أشهدكم أنني قد أوجبت عمرة ، فانطلق حتى إذا أتى ذا الحليفة ، فلبى ثم قال : إن خلي سبيلي قضيت عمرتي ، وإن حيل بيني وبينه ، فعلت كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تلا : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) ثم سار ، حتى إذا كان بظهر البداء قال : ما أمرهما إلا واحد ، إن حيل بيني وبين العمرة حيل بيني وبين الحج ، أشهدكم أنني قد أوجبت حجة مع عمرتي ، فانطلق ، حتى ابتاع بقديد هدياً ، ثم طاف لهما طوافاً واحداً . وقال ابن عمر : كذلك فعل رسول الله عليه وسلم .^(٢) ولم يكن هذا الحرص مقتصرأ على الشكل ؛ بل كان يشمل المضمون والجوهر لهذه العبادة ، ونجد تأكيد ذلك في استسلام ابن عمر لله وتجرده

(١) جامع الأصول (٣ : ٩٠) .

(٢) جامع الأصول (٣ : ١٠٨) .

من علائق الأرض في طوافه وسعيه ؛ حتى إنه كان يتخايل الله عز وجل في طوافه ، ويدعوه دعوة المؤمن المتصل بخالقه في سعيه ؛ قال عروة بن الزبير : خطبت إلى عبد الله بن عمر ابنته ونحن في الطواف ، فسكت ولم يجيني بكلمة ، فقلت : لورضي لأجاني ، والله لا أراجعه فيها بكلمة أبداً ، فقد رله أن صدر إلى المدينة قبلي ، ثم قدمت فدخلت مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه وأديت إليه من حقه ما هو أهله ، فأتيته ورحب بي وقال : متى قدمت ؟ فقلت : هذا حين قدومي ، فقال : أكنت ذكرت لي سودة بنت عبد الله ونحن في الطواف تتخايل الله عز وجل بين أعيننا ، وكنت قادراً أن تلقاني في غير ذلك الموطن ؟ فقلت : كان أمراً قدر ، قال : فما رأيك اليوم ؟ قلت : أحرص ما كنت عليه قط ، فدعا ابنه سالماً وعبد الله فزوجني . (١)

وقال نافع : سمعت ابن عمر يدعو على الصفا فيقول :

اللهم إنك قلت : (ادعوني أستجب لكم) وإنك لا تخلف الميعاد ، وإني أسألك كما هديتني للإسلام أن لا تنزعني مني حتى تتوفاني وأنا مسلم . (٢)

(١) حلية الأولياء (١ : ٣٠٩) .

(٢) جامع الاصول (٣ : ٢١٨) وقال : أخرجه مالك في الموطأ .

أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عبادة فرضها الله تعالى ، وتميزت بها الأمة الإسلامية ، قال تعالى : (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)^(١) .

وعبد الله بن عمر كان يقوم بهذه الفريضة الكفائية خير قيام ، فنهى عن المنكر بالقول والعمل ، ويزيله بما يستحق من القوة والعنف ؛ فعن نافع قال : كان ابن عمر يكسر النرد^(٢) والأربع عشرة^(٣) . وعن نافع أن ابن عمر وجد مع بعض أهله الأربع عشرة فضرب بها رأسه^(٤) . وعنه : أن ابن عمر كان يسمع بعض ولده يلحن فيضربه^(٥) . وعنه ، أن ابن عمر رأى رجلين يتحدثان والامام يحظب فحصبهما :^(٦) .

(١) سورة آل عمران : ١١٠ .

(٢) النرد : لعبة وضعها أحد ملوك الفرس وتعرفها العامة بلعبة الطاولة

(٣) وهي « المنقلة » لعبة تتخذ من خشبة مستطيلة نقر فيها أربعة عشر

ثغرة في صفين متوازيين فيجعل في كل ثغرة سبع حصيات وتدار الحصى بطرق معلومة .

(٤) الطبقات (٤ : ١٦٤) .

(٥) الطبقات ٤ : (١٥٥) .

(٦) فحصبهما : الحصب : الرجم بالحصباء ، وهي صفار الحصى .

أن اصمتا^(١) . وقد مر أن ابن عمر كان يتصدى للحجاج
بأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر ، فاستحق ما وصفه به العلماء من
الشجاعة والجرأة .

أما أمره بالمعروف فكان يتخذ طابع التعليم الهادئ المقترن بالحجة
والدليل ؛ قال عبد الله بن عبد الله بن عمر : « إنه كان يرى عبد الله بن
عمر يتربع في الصلاة إذا جلس ففعلته وأنا يومئذ حديث السن ، فنهاني
عبد الله بن عمر ، وقال : إنما سنة الصلاة : أن تنصب رجلك اليمنى ،
وتثني رجلك اليسرى ، فقلت : إنك تفعل ذلك ؟ قال : إن رجلي
لا تحملاني » .^(٢)

وعن أبي حازم قال : مر ابن عمر برجل ساقط من أهل العراق ،
فقال : ما شأنه ؟ قالوا : إنه إذا قرأ عليه القرآن يصيبه هذا . قال : إنما
لنخشى الله وما نسقط .^(٣)

وعن جابر بن زيد قال : لقيني ابن عمر فقال : يا جابر ، إنك من
فقهاء البصرة وتُسفتي فلا تفتن إلا بكتاب ناطق أو سنة ماضية^(٤) .

(١) جامع الاصول (٥ : ٦٨٦) .

(٢) جامع الاصول (٥ : ٤٠٧) وقال : أخرجه البخاري والموطأ .

(٣) الحلية (١ : ٣١٢) .

(٤) أعلام الموقعين (١ : ٥٩) .

وكان إذا نظر إلى ما أحدث الحُجَّاج من الزِّي والمُحامل يقول :

« الحَاج قليل والركب كثير » ، ثم نظر إلى رجل مسكين رث الهيئة تحته جِوَالِقُ^(١) فقال : « هذا نعم من الحُجَّاج » .^(٢)

دَعَاؤُهُ

والدعاء منح العبادَة ، وهو دلائل التذال والخُضوع لله وحده ، ودليل الإخلاص لله القادر الرحيم ، والامثال لقوله تعالى : (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم) .^(٣)

وروى ابن عمر كثيراً من أدعية النبي ﷺ وأقواله في التَّوَرِيبِ بالدعاء ؛ فعن ابن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : « من مُتَّح له منكم باب الدعاء فُتحت له أبواب الرحمة ، وما سئل الله شيئاً يُعطى أحب إليه من أن يُسأل العافية^(٤) » . وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الدعاء ينفع مما نزل وبما لم ينزل ، فعليكم عباد الله بالدعاء^(٥) » .

(١) الجِوَالِقُ وعاء من الأوعية معروف معرب (العدل) .

(٢) إحياء علوم الدين (١ : ٢٦٥) .

(٣) غافر : ٦٠ .

(٤) (التاج الجامع للأصول) (٥ : ١١٠) وقال : رواها

الترمذي .

وروى مسلم أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أمر رجلاً قال : « إذا أخذت مضجعتك ، قل : اللهم أنت خلقت نفسي ، وأنت تتوفأها ، لك بماتها ومحيها ، إن أحييتها فاحفظها ، وإن أمتها فاغفر لها ، اللهم إني أسألك العفو والعافية ، فقل له : سمعت هذا من عمر ؟ قال : سمعته من خير من عمر ؛ من رسول الله ﷺ » .

وعن ابن عمر أنه قال : كان يُعَدُّ لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد - قبل أن يقوم - مائة مرة : « رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم ^(١) » .

ولذلك بقي ابن عمر حتى آخر حياته يتمنى المغفرة ، مكتفياً بها عن متاع الدنيا وأعراضها الزائلة ؛ قال أبو الزناد : اجتمع في الحِجر مصعب وعروة وعبد الله بنو الزبير ، وعبد الله بن عمر . فقالوا : تمنوا . فقال عبد الله بن الزبير : أما أنا فأتمنى الخلافة . وقال عروة : أما أنا فأتمنى أن يؤخذ عني العلم . وقال مصعب : أما أنا فأتمنى إمرة العراق والجمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين . وقال عبد الله بن عمر :

(١) جامع الأصول (٤ : ٢٧٩) وقال : أخرجه الترمذي .

أما أنا فأتيتني المغفرة ، قال : فنالوا كلهم ماتموا ، ولعل ابن عمر قد غفر له ^(١) .

وقال نافع : كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا جلس مجلساً لم يقم حتى يدعو بهن لجلسائه ، وزعم أن رسول الله ﷺ كان يدعو بهن لجلسائه : « اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك ، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ، ومن اليقين ما نهوئُت به علينا مصائب الدنيا ، اللهم امتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا ، واجعله الوارث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا ، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا ^(٢) » .

وكان من دعائه الصباحي مارواه عبد الله بن سبرة فقال : كان ابن عمر رضي الله تعالى عنه إذا أصبح قال : اللهم اجعلني من أعظم عبادك عندك نصيباً في كل خير تقسمه الغداة ، ونوراً تهدي به ، ورحمة تنشرها ، ورزقاً تبسطه ، وضراً تكشفه ، وبلاء ترفعه ، وفتنة تصرفها ^(٣) .

(١) حلية الأولياء (١ : ٣٠٩) .

(٢) جامع الأصول (٤ : ٢٧٩) وقال : أخرجه الترمذي .

(٣) حلية الأولياء (١ : ٣٠٥) . والاصابة (٢ : ٣٤٩) .

وكان إذا طلب منه الدعاء كره الإسهاب ورغب في الاختصار ؛
فقد قيل لعبد الله بن عمر : لو دعوت الله لنا ، فقال : اللهم ارحمنا وعافنا
وارزقنا ، فقال رجل : لو زدتنا يا أبا عبد الرحمن ، فقال : نعوذ بالله
من الإسهاب^(١) .



(١) أخبار عمر للطنطاوي (ص ٥٦٤) .

خَوْفُهُ مِنَ اللَّهِ

كان عبد الله بن عمر كأبيه عمر رقيق القلب سريع الدمعة ، تم طل دموعه وهو يقرأ آيات القرآن الكريم أو يسمعها ، وبكاؤه دليل الخوف والخشية من الله ، والمعرفة الحقة لجلاله وعظمته ؛ قال نافع : كان ابن عمر إذا قرأ : (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ) بكى حتى يغلبه البكاء (١) .

وقال القاسم بن أبي بزة : حدثني من سمع ابن عمر رضي الله عنها قرأ : (ويلٌ للمطففين ..) حتى بلغ : (يوم يقوم الناس لرب العالمين) قال : فبكى حتى خر ، وامتنع من قراءة ما بعده (٢) .

ونعرف سر بكاؤه وتأثره في خبر نافع : ما قرأ ابن عمر هاتين الآيتين قط من آخر سورة البقرة إلا بكى : (إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله ...) الآية ، ثم يقول : إن هذا لإحصاء شديد (٣) .

(١) سير النبلاء (١٤٢ . ٣) .

(٣٥٢) حلية الأولياء (١ : ٣٠٥) .

وعن عبد الله بن عمر عن أبيه ؛ أنه تلا : (فكيف إذا جئنا
 من كل أمة بشهيد) فجعل ابن عمر يبكي حتى لثقت^(١)
 حليته وجبيه من دموعه ، فأراد رجل أن يقول لأبي أقصر ، فقد
 آذيت الشيخ^(٢).

وعن سمير الرياحي عن أبيه قال : شرب عبد الله بن عمر ماء مبرداً
 فبكى فاستد بكاؤه ، فقيل له : ما بك ؟ فقال : ذكرت آية في
 كتاب الله عز وجل : (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) فعرفت أن أهل النار
 لا يشتهون شيئاً شهوتهم الماء البارد ، وقد قال الله عز وجل : (أفيسوا
 علينا من الماء أو مما رزقكم الله^(٣)) .

ولئن قال رسول الله ﷺ : « عينا لا تمسها النار : عين بكت
 من خشية الله ، وعين باتت تحرس في سبيل الله^(٤) » . فإن ابن عمر نال
 الاثنين معاً ؛ فقد بات أشهر يحرس في سبيل الله ؛ كما رأينا ونحن نقرأ عن

(١) لثقت : أي ابتلت

(٢) سير النبلاء (٣ : ١٤٢) والطبقات (٤ : ١٦٢) .

(٣) صفة الصفوة (١ : ٥٧٨) .

(٤) الترغيب والترهيب (٢ : ٢٤٨) .

جهاده وغزوه ، وعينه تهراقان بالدموع من خشية الله وهو يقرأ أو
يتفكر في آيات كتاب الله، أو حتى وهو يستمع إلى حديث قاصٍ ، قال
يوسف بن ماهك : انطلقت مع ابن عمر إلى عبيد بن عمير وهو يقصُّ
على أصحابه ، فنظرت إلى ابن عمر فإذا عيناه تهراقان^(١).



(١) الطبقات (٤ : ١٦٢) .

زُهْدُهُ وَوَرَعُهُ

سمع ابن عمر رجلاً يقول : أين الزاهدون في الدنيا الراغبون في الآخرة ؟ فأراه قبر النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر . فقال : عن هؤلاء تسأل ؟ . وهؤلاء الزاهدون كانوا أساتذته ؛ منهم فهم معنى الزهد قولاً وعملاً ، وبهم تأسى ، فأبغض الدنيا وأعرض عنها ، واكتفى منها بما يستر الجسم ويقيم الأود ؛ مع أنه كان ثرياً مليوناً . ورغب في الآخرة ، وطلب الراحة فيها ، وأعلن لها جهاد النفس وجهاد الأعداء ، وإعمار الأرض وتزيينها بالعبادة والأعمال الصالحة .

لقد ورد ابن عمر الماء من نبعه العذب الصافي ؛ فكان الزهد في حياته إسلامياً خالصاً ؛ قبل أن تشوبه المفاهيم السلبية السقيمة ، وتدّعيه النفوس المهزومة المريضة ، وقبل أن يصبح مظهرًا للتكسب والسؤال ، ويخفي ألواناً من الشره والحرص على الترف والتفنن في الميزات في الخفاء .

وسنفصل القول في زهد ابن عمر في الطعام واللباس ، والأثاث والمال ، والمناصب .

زهده في الطعام واللباس

فهم ابن عمر من الاسلام ومن سيرة رسول الله وأصحابه ، أن استهلاك النعم في الملبس والمطعم فقط إنما هو ازدراء وتضييع لها ، ووجود لواهبها ومرسلها ، وترف إذا وجد وانتشر في أمة أدى بها إلى الدمار والهلاك ؛ فمن زهده في الطعام ما قاله عمر بن حمزة بن عبد الله : كنت جالساً مع أبي فمر رجل فقال : أخبرني ما قلت لعبد الله بن عمر يوم رأيتك تكلمه بالجرف . قال : قلت يا أبا عبد الرحمن ، رقت مضغتك ، وكبر سنك ، وجلساؤك لا يعرفون حقك ولا شرفك ، فلو أمرت أهلك أن يجعلوا لك شيئاً يلطفونك إذا رجعت إليهم . قال ويحك ! والله ما شبت منذ إحدى عشرة سنة ، ولا اثنتي عشرة سنة ، ولا ثلاث عشرة سنة ، ولا أربع عشرة سنة ، ولا مرة واحدة ! فكيف بي وإنما بقي مني كظمىء الحمار (١) (٢) .

وكان مولى لعبد الله بن عمر قدم من العراق فجاءه يسلم عليه فقال :

(١) ظمؤ الحمار : كناية عن الوقت اليسير ؛ لأن الحمار أقل الدواب صبراً عن الماء .

(٢) الخلية (١ : ٢٩٩) .

أهديت إليك هدية ، قال : وما هي ؟ قال : جوارش . قال : وما جوارش ؟ قال تهضم الطعام . فقال فما ملأت بطني طعاماً منذ أربعين سنة فما أصنع به^(١) ! وعن نافع أن ابن عمر كان يجمع أهل بيته على جفنته كل ليلة ، قال : فرمما سمع بنداء مسكين ، فيقوم إليه بنصيبه من اللحم والخبز ، فيألي أن يدفعه إليه ويرجع قد فرغوا بما في الجفنة ، فإن كنت أدركت فيها شيئاً فقد أدرك فيها ، ثم يُصبح صائماً^(٢) .

وكان أكل اللحم والإكثار منه دليل الترف والتنعم أكثر مما هو اليوم ؛ ومحدثنا نافع عن استهلاك هذه المادة في بيت ابن عمر فيقول : إن كانت ابن عمر ليقسم في المجلس الواحد ثلاثين ألفاً ثم يأتي عليه شهر ماياً كل فيه مزة لحم^(٣) .

ويقول : كان ابن عمر لا يذوق اللحم شهراً إلا مسافراً أو في رمضان قال : وكان يمكث الشهر لا يذوق فيه مزة لحم^(٤) .

وتزول دهشتنا ويتلاشى استغرابنا من هذا التشف الاختياري مع وفرة المال ؛ عندما يخبرنا ابن عمر نفسه عن المدوسة التي استقى منها هذا المنهج وتربى فيها هذه التربية فيقول : ماشبت منذ أسامت^(٥) .

(١) الخلية (١ : ٣٠٠) .

(٢) الطبقات (٤ : ١٦٥) .

(٣) الخلية (١ : ٢٩٥ - ٢٩٦) .

(٤) الخلية (١ : ٢٩٩) .

ومن زهده في اللباس ما روي عن هلال بن خباب عن
قزعة قال :

رأيت على ابن عمر ثياباً خشنة فقلت له : يا أبا عبد الرحمن إني أتيتك
بثوب لين مما يصنع بخراسان ، وتقر عيناى أن أراه عليك ، فإن عليك
ثياباً خشنة ، فقال : أرنيه حتى أنظر إليه ، قال : فلمسه بيده وقال :
أحرير هذا ؟ قلت : لا ، إنه من قطن . قال : إني أخاف أن ألبسه ،
أخاف أن أكون مختالاً فخوراً ، والله لا يحب كل مختال فخور^(١) .

ويتضح زهده في اللباس والثياب من هذا الدرس الذي يملئه على ابنه ؛
فعن ميمون بن مهران أن رجلاً من بني عبد الله بن عمر رضي الله عنها
استكساه إزاراً وقال : قد تخرق إزاري . فقال له : إقطع إزارك ثم
اكتسه ، ففكره الفتى ذلك ، فقال له عبد الله بن عمر : ويحك ، اتق الله
لا تكونن من القوم الذين يجعلون ما رزقهم الله تعالى في بطونهم وعلى
ظهورهم^(٢) .

وسأله رجل عما يلبس من الثياب ؟ فقال له : البس ما لا يزدريك
فيه السفهاء ولا يعيبك به العلماء قال : ما هو ؟ قال ما بين الخمسة إلى
العشرين درهماً^(٣) .

(١) الخلية (١ : ٣٠٢) .

(٢) الخلية (١ : ٣٠١) .

(٣) الخلية (١ : ٣٠٢) .

زهده في الأثاث والمال

وزهد ابن عمر في الأثاث والمال ، ولم يكن زهده هذا عن فقر ، فقد كان ثرياً ، تأتبه الأموال الكثيرة ؛ فيجد فيها حق الفقير والمسكين .

ولم يكن زهده عن بخل ، فقد كان سخياً كريماً ، تمر الأموال الوافرة به مروراً ، وتعبّر داره عبوراً سريعاً ؛ قال ميمون بن مهران : لقد دخلت على ابن عمر فقومت كل شيء في بيته من أثاث ما يساوي مائة درهم ^(١) . وفي رواية أنه قال : دخلت منزل ابن عمر فما كان فيه ما يسوي طيلساني هذا ^(٢) .

قال أبو المليح : فبيع طيلسان ميمون حين مات في ميراثه بمائة درهم ^(٣) .

وعن ميمون بن مهران قال : دس معاوية عمرو بن العاص ، وهو يريد أن يعلم ما في نفس ابن عمر ، يريد القتال أم لا ، فقال : يا أبا عبد

(١) سير النبلاء (٣ : ١٤١) .

(٢) الحلية (١ : ٣٠١) .

(٣) الطبقات (٤ : ١٦٥) .

الرحمن ما يمنعك أنت تخرج فنبأبعك وأنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وابن أمير المؤمنين وأنت أحق الناس بهذا الأمر ؟ قال : وقد اجتمع الناس كلهم على ما تقول ؟ قال : نعم إلا تُفِسرُ يسيرُ ، قال : لو لم يبق إلا ثلاثة أعلاج بهجرَ لم يكن لي فيها حاجة . قال : فعلم أنه لا يريد القتال ، قال : هل لك أن تبائع لمن قد كاذ الناس أن يجتمعوا عليه ويكتب لك من الأرضين ومن الأموال ما لا تحتاج أنت ولا ولدك إلى ما بعده ؟ فقال أف لك !! اخرج من عندي ، ثم لا تدخل علي !! وبحك إن ديني ليس بديناركم ولا درهمكم ولاني أرجو أن أخرج من الدنيا ويدي بيضاء نقية ^(١) .

وعن ابن عمر قال : لولا أن معاوية بالشام ، ليسرني أن آتي بيت المقدس فأهل منه بعمره ، ولكن أكره أن آتي الشام فلا آتيه فيجد عليّ ، أو آتيه فيراني تعرّضت لما في يديه ^(٢) .

زهده في المناصب

وزهده في المناصب لم يكن عن عجز ، فقد عرضت عليه الخلافة مرات فرفضها ؛ إذ اشترط لقبولها المستحيل وهو اجتماع الكلمة وعدم

(١) الطبقات (٤ : ١٦٤) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٣ : ١٥٨) .

القتال ، وعرض عليه عثمان القضاء فاعتذر ، وطلب منه علي أن يذهب إلى الشام أميراً فخرج هارباً إلى مكة ليلاً .

ففي الطبقات من حديث خالد بن سمير قال : قيل لابن عمر : لو أقيمت للناس أمورهم فإن الناس قد رضوا بك كلهم . فقال لهم : رأيتم إن خالف رجل بالمشرك ؟ قالوا : إن خالف رجل قتل ، وما قتل رجل في صلاح الأمة ؟ فقال : والله ما أحب لو أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم أخذت بقائمة ومع أخذت برؤسها فقتل رجل من المسلمين ولي الدنيا وما فيها^(١) .

وقال قسطنطين : أتى رجل ابن عمر فقال : ما أحد شرُّ لأمة محمد منك ، فقال : لم ؟ فوالله ما سفكت دماءهم ، ولا فرقت جماعتهم ، ولا شققت عصامهم ، قال : إنك لو شئت ما اختلف فيك اثنان ، قال : ما أحب أنها أتتني ورجل يقول : لا ، وآخر يقول بلى^(٢) .

وأما عن زهده في القضاء فيحدثنا يزيد بن موهب أن عثمان قال لعبد الله بن عمر : اقتض بين الناس ، فقال : لا أقضي بين اثنين ، ولا أؤم اثنين . قال : فقال عثمان : أتعصيني ؟ قال : لا ولكنني بلغني أن القضاة ثلاثة : رجل قضى بجهل فهو في النار ، ورجل حاف ومال به الهوى فهو في النار ، ورجل اجتهد فأصاب فهو ككفاف لا أجر له ولا وزر عليه . فقال : فإن أباك كان يقضي ، فقال : إن أبي كان يقضي

فإذا أشكل عليه شيء سأل النبي صلى الله عليه وسلم ، وإذا أشكل على النبي سأل جبرائيل ، وإني لأجد من أسأل ، أما سمعت النبي ﷺ يقول : «من عاذ بالله فقد عاذ بمعاذ ؟» فقال عثمان : بلى فقال : فإني أعود بالله أن تستعملني . فأعفاه وقال : لا تخبر بهذا أحداً^(١).

وقد يبدو هذا الموقف لعبد الله بن عمر صمة من سمات السلبية . بيد أن ذلك ليس كذلك ، فعبد الله بن عمر لم يمتنع عن القضاء وليس هناك من يصلح له سواه ، بل كان هناك كثيرون من أصحاب الرسول الورعين الصالحين ، وكان بعضهم يشغل القضاء والفتيا بالفعل ، ولم يكن في تخلي ابن عمر عنه تعطيل لوظيفة القضاء . ولا إلقاء بها بين أيدي الذين لا يصلحون لها . ومن ثم فقد آثر البقاء مع نفسه يزكها بالمزيد من الطاعة والمزيد من العبادة^(٢) .

وَرَعُهُ

وإذا كان الورع هو اجتناب الشبهات خوفاً من الوقوع في المحرمات ؛ فإن ابن عمر مطبوع على ذلك ، وقد شهد بورعه الصحابة والتابعون ؛ قال طاووس : « ما رأيت أروع من ابن عمر^(٣) » . وما نقل إلينا من

(١) الطبقات (٤ : ١٤٦) .

(٢) رجال حول الرسول بتصرف يسير (١ : ١٢١) .

(٣) سير النبلاء (٣ : ١٤٠) .

الحوادث والقصص عن ورعه يعتبر أكبر شاهد على ملازمته الحلال البين
والبعد عن الشبه ؛ طاعة ومحبة لله ، وتأسياً برسول الله ، فعن نافع ، أن
ابن عمر سمع صوت زمارة راعٍ فوضع إصبعيه في أذنيه وعدل براجلته
عن الطريق وهو يقول : يا نافع أسمع ؟ وأقول : نعم ، فيمضي حتى
قلت : لا ، قال : فوضع يديه عن أذنيه وعدل إلى الطريق وقال :
رأيت رسول الله ﷺ ، وسمع صوت زمارة راعٍ فصنع مثل هذا ^(١) .

وروى البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يقيمَنَّ أحدكم رجلاً من مجلسه ثم
يجلس فيه ، ولكن توسعوا وتفسحوا » وكان ابن عمر إذا قام لرجل من
مجلسه لم يجلس فيه .

قال النووي : وذلك من مزيد ورعه وخشية دخوله في النهي بأن
ذلك إقامة للجالس بالإشارة سباً إذا عرف محبة القادم لذلك ، فتوكله
ورعاً وتنزهاً عن أن ينسب إليه فعل بما نهى عنه الشارع .

وعن ميمون بن مهران ؛ أن ابن عمر رضي الله عنهما كاتب غلاماً له
ونجسها عليه نجوماً ، فلما حلَّ أول نجم أتاه المكاتب به ، فسأله من أين

(١) الطبقات (٤ : ١٦٣) . وفي الحديث أن الرسول لم يمنع ابن
عمر من السماع ، وكذلك لم يمنع ابن عمر نافعاً ؛ وهذا دليل على عدم التحريم
بل دليل على أن الترك أول .

أصبحت هذا؟ قال : كنت أعمل وأسأل . قال ابن عمر : أفجئتني بأوساخ الناس تريد أن تطعمنيتها ؟ أنت حرٌ لوجه الله ولك ما جئت به ^(١) .

وعن سعيد بن جبير ، أن ابن عمر تصدق على أمه بسلام فرء في السوق على شاة حلوب تباع فقال للسلام : أبتاع هذه الشاة من ضريبتك ، فابتاعها وكان يُعجبه أن يفطر على اللبن فأتي بلبن عند فطره من الشاة ، فوضع بين يديه ، فقال : اللبن من الشاة ، والشاة من ضريبة السلام ، والسلام صدقة على أمي ، أرفعه لاحتاجة لي فيه ^(٢) .

وحدث مالك بن أنس عن شيخ قال : لما كان زمن ابن الزبير انتهت تمر فاشتريتنا منه فجعلناه خلًا ، فأرسلت أمي إلى ابن عمر وذهبت مع الرسول ، فسأل ابن عمر عن ذلك فقال : أهريقوه ^(٣) .

وعنه أنه قال في أيام الحجاج : ما شبت من الطعام منذ انتهت الدار إلى يومي هذا ^(٤) .

(١) الحلية (١ : ٣٠١) .

(٢) الطبقات (٤ : ١٦٠) .

(٣) الطبقات (٤ : ١٦٣) .

(٤) إحياء علوم الدين (٢ : ١٣٧) . والدار هي دار عثمان رضي الله

عنه انتهت الثوار بعد قتله .

ولم يتورع ابن عمر عن أكل الشبهات فحسب ؛ بل زهد وتورع
عن الضروري من الحياة إذا كان فيه شبهة من التمتع أو شبهة من الحرام ؛
فكان يقول عن الحمام : « هو من النعم الذي أحدثوه »^(١) .

وحدث أبو شعيب الأسدي قال : رأيت ابن عمر بمنى قد حلق
رأسه والحلاق يخلق ذراعيه . فلما رأى الناس ينظرون إليه قال : أما
إنه ليس بسنة ولكني رجل لا أدخل الحمام^(٢) . فقال رجل : ما يمنعك
من الحمام يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : إني أكره أن ترى عورتي . قال :
فإنما يكفيك من ذلك إزار ، قال فإني أكره أن أرى عورة غيري^(٣) .

(١) إحياء علوم الدين (١ : ١٣٩) .

(٢) المقصود هو الحمام العام ، ولا يتخلو - حتى أياها هذه - من كشف

العورات .

(٣) الطبقات (٤ : ١٥٤) .

جُودُهُ وَكَرَمُهُ

وأما عن جود ابن عمر وصدقائه ومبراته ؛ فحدث عنه ولا حرج ، فقد كان صادقاً في قدوته برسول الله ﷺ ، وصادقاً في تشبهه بعمر بن الخطاب رضي الله عنه ؛ ينفق في وجوه الخير إنفاق من لا يخشى الفقر ولا يحسب له حساباً ، والأموال الكثيرة تأتيه^(١) ، فلا تتجاوز يديه ، ومحال أن تصل إلى قلبه فيصبح لها عبداً . وكان يختار للإنفاق الجيد وما تحبه نفسه من الأموال ؛ إستجابة لقول الله تعالى : (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) .

(١) روي أن ابن عمر لم يرد هدية أحد إلا هدية المختار الثقفي ؛ وكان يقبل العطاء مهتدياً بتعليم رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبيه عمر ، فقد روى مسلم عن ابن عمر ، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعطي عمر العطاء فيقول له عمر : أعطه يا رسول الله من هو أفقر إليه مني ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خذ هـ فتموله أو تصدق به » ، وما جاءك من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه ، وما لا فلا تتبعه نفسك » . قال سالم : فن أجلس ذلك كان ابن عمر لا يسأل أحداً شيئاً ، ولا يرد شيئاً أعطيه .

وقال عبد الله بن المبارك : « إن الذين يأخذون الجوائز الدوم - يعني من الحكام - ويحتجون بابن عمر وعائشة ، ما يقتدون بهما لأن ابن عمر فرق ما أخذ حتى استقرض في مجلسه بعد تفرقه ستين ألفاً ، وعائشة فعلت مثل ذلك » عن إحياء علوم الدين (٢ : ١٣٧) .

وكان يخص بعطائه وإطعامه الفقراء والمحتاجين ؛ لأنه لم يكن يريد بكرمه وجوده إلا وجهه الله . وسأرقب ابن عمر الكريم وهو ينفق الأموال الكثيرة، ويختار للانفاق ما تحبه نفسه، ويخص بإنفاقه المستحقين .

إنفاقه الأموال الكثيرة

قال ميمون بن مهران : أتت ابن عمر اثنان وعشرون ألف دينار في مجلس ، فلم يقم حتى فرقة^(١) .

وقال نافع : ما مات ابن عمر حتى أعتق ألف إنسان أو زاد^(٢) .
وقال : أتى ابن عمر بيضة وعشرين ألفاً فما قام من مجلسه حتى أعطاهم وزاد عليها . قال : ولم يزل يعطي حتى أنفد ما كان عنده ، فجاءه بعض من كان يعطيه فاستقرض من بعض من كان أعطاه فأعطاه إياه^(٣) .

وعن نافع ؛ أن معاوية رضي الله عنه بعث إلى ابن عمر بمائة ألف فما حال الحول وعنده منها شيء^(٤) .

(١) صفة الصفوة (١ : ٥٧٠) والحلية (١ : ٢٩٦) .

(٢) حلية الأولياء (١ : ٢٩٦) .

(٣) صفة الصفوة (١ : ٥٧١) . والطبقات (٤ : ١٤٨) .

(٤) صفة الصفوة (١ : ٥٧٢) .

ولا شك أن هذا الإنفاق الكثير يستدعي الدهشة والاستغراب والمراقبة من بعض معاصري ابن عمر ، ولنسمع أيوب بن وائل الراسبي يحدثنا هذه القصة التي تأكد فيها من كرم ابن عمر بنفسه ؛ يقول : قدمت المدينة فأخبرني رجلٌ جاري لابن عمر : أنه أتى ابن عمر أربعة آلاف من قبل معاوية ، وأربعة آلاف من قبل إنسان آخر ، وألفان من قبل آخر ، وقطيفة ^(١) ، فجاء إلى السوق يريد علفاً لراحلته بدرهم نسيئة ^(٢) ، فقد عرفت الذي جاءه فأتيت سرّيته فقلت : إني أريد أن أسألك عن شيء وأحبُّ أن تصدقني . قلت : أليس قد أتت أبا عبد الرحمن أربعة آلاف من قبل معاوية ، وأربعة آلاف من قبل إنسان آخر ، وألفان من قبل آخر ، وقطيفة ؟ قالت : بلى . قلت : فإني رأيته يطلب علفاً بدرهم نسيئة . قالت : ما بات حتى فرقها ، فأخذ القطيفة فألقاها على ظهره ثم ذهب فوجهاً ^(٣) ثم جاء .

فقلت : يا معشر التجار ماتصنعون بالدنيا ؟ وابن عمر أتته البارحة عشرة آلاف درهم وضح ^(٤) ، فأصبح اليوم يطلب لراحلته علفاً بدرهم نسيئة ^(٥) .

(١) قطيفة : كساء لها خمل .

(٢) نسيئة : أي تأخير الدفع إلى أجل .

(٣) فوجهاً : أي وهبها .

(٤) وضح : أي صحبته .

(٥) الحلية (١ : ٢٩٦ - ٢٩٧) .

إنفاق ما تحبه نفسه

قال نافع : كلت ابن عمر إذا اشتد عجه بشيء من ماله قر به لربه عز وجل . قال نافع : وكلت رقيقه قد عرفوا ذلك منه ، فربما شتم أحدهم فيأزم المسجد ، فإذا رآه ابن عمر رضي الله عنه على تلك الحالة الحسنه أعتقه . فيقول له أصحابه : يا أبا عبد الرحمن ، والله ما بهم إلا أن يحدعوك ، فيقول ابن عمر : فمن خدعنا بالله عز وجل نخدعنا له . قال : فلقد رأيتنا ذات عشي وراح ابن عمر على نجيب^(١) له قد أخذه بمال عظيم ، فلما أعجبه سيره أناخه مكانه ثم نزل عنه ، فقال : يا نافع ، انزعوا زمامه ورحلته وجلته^(٢) وأشهره^(٣) وأدخلوه في البدن^(٤) .

وقال عبد الله بن أبي عثمان : كان عبد الله بن عمر أعتق جاريته التي يقال لها رُمَيْثَة ، وقال : إني سمعت الله عز وجل يقول في كتابه : (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) وإني والله إن كنت لأحبك في الدنيا ، اذهبي فأنت حرّة لوجه الله عز وجل^(٥) .

(١) نجيب : جمعه نجيب ونجائب . قال الأزهري : العتاق من الإبل التي يسابق عليها .

(٢) جللوه : ضمو في مرقبته الجلل وهو الجرس ، ليعرف .

(٣) أشهروه : علوه ليعرف أنه هدي .

(٤و٥) الحلية (١ : ٢٩٥) .

وعن عاصم بن محمد عن أبيه قال : أعطي ابن عمر بنافع عشرة آلاف درهم ، أو ألف دينار . فقلت : يا أبا عبد الرحمن فما تنتظر أن نبيع ؟ قال : فهلا ما هو خير من ذلك ، فهو حر لوجه الله عز وجل ^(١) .

وعن ميمون بن مهران ؛ قال : مر أصحاب نجدة الحروري على إبل لعبد الله بن عمر فاستاقوها ، فجاء راعيها . فقال : يا أبا عبد الرحمن احتسب الابل . قال : وما لها ؟ قال : مر بها أصحاب نجدة الحروري فذهبوا بها ، قال : كيف ذهبوا بالابل وتركوك ؟ قال : قد كانوا ذهبوا بي معها ولكنني انقلت منهم ، قال : ما حملك على أن تركتهم وجيتني ؟ قال : أنت أحب إليّ منهم . قال : آله الذي لا إله إلا هو لأننا أحب إليك منهم ؟ قال : فحلف له . قال : فإني أحسبك معي ، فأعته ، فكث ما مكث ثم أتاه آت فقال : هل لك في ناقتك الفلانية ؟ سماها باسمها . ها هي ذا تباع بالسوق . قال : أرني ردائي ، فلما وضعه على منكبيه وقام ، جلس فوضع رداءه ثم قال : لقد كنت احتسبتها فلم أطلبها ^(٢) ؟

وكانت صدقات ابن عمر بما يجب تتعدى الانفاق والعق إلى التصدق بما يجب ويشتهي من الطعام ؛ فعن نافع أن ابن عمر استهى عباً وهو

(١) صفة الصفوة (١ : ٥٧١) وقال : رواه أحمد .

(٢) الحلية (١ : ٣٠٠ - ٣٠١) .

مريض ، فاستريت له عنقوداً بدرهم ، فجئت به فوضعت في يده ،
فجاءه سائل فقام على الباب فسأل ، فقال ابن عمر : ادفعه إليه في يده .
قال : قلت : كل منه ، ذقه . قال : لا ، ادفعه إليه ، فدفعته إليه .
قال : فاستريته منه بدرهم فجئت به إليه فوضعت في يده فعاد السائل
فقال ابن عمر ادفعه إليه قلت : ذقه . كل منه ، قال : لا إدفعه إليه
فدفعته ، فما زال يعود السائل ويأمر بدفعه إليه حتى قلت للسائل في
الثالثة أو الرابعة : ويحك ما تستحي ؟ فاستريته منه بدرهم فجئت به
إليه فأكله ^(١) .

وعن سعيد بن هلال ، أن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما نزل الجحفة
- وهو شاكٍ - فقال : إني لأشتهي حيتاناً ، فالتمسوا له فلم يجدوا له
إلا حوتاً واحداً ، فأخذته امرأته - صفية بنت أبي عبيد - فصنعت له ثم
قربت له ، فأتى مسكين حتى وقف عليه فقال له ابن عمر : خذه .
فقال أهله : سبحان الله ، قد عثيتنا ومعنا زاد نعطيه ، فقال : إن
عبدالله يحبه ^(٢) .

وكل من يتصدق بالشكر ويقول : سمعت الله يقول :
(إن تناولوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) والله يعلم أني أحب السكر ^(٣)

(٢٠١) الخلية (١ : ٢٩٧) .

(٣) إحياء علوم الدين (١ : ٢٢٧) .

وعن عبدالله بن دينار قال : خرجت مع ابن عمر إلى مكة فعرّسنا^(١) ،
فانحدر علينا راع من جبل ، فقال له ابن عمر : أراع ؟ فقال : نعم .
قال : بعني شاة من الغنم قال : إني مملوك . قال : قل لسيدك أكلها
الذئب . قال : فأين الله عز وجل ؟ قال ابن عمر : فأين الله !! ثم بكى ،
ثم استراه بعد فاعقه^(٢) .

إنفاقه على المستحقين

قال معن : كان ابن عمر إذا صنع طعاماً فمر به رجل له هيشه لم
يدعه ودعاه بنوه أو بنو أخيه ، وإذا مر إنسان مسكين دعاه ولم يدعوه
وقال : يدعون من لا يشتهيه ويدعون من يشتهيه^(٣) .

وعن أبي جعفر القاري ؛ قال : قال مولاي : اخرج مع ابن عمر
أخدمه ، قال : فكان كل ماء ينزله يدعو أهل ذلك الماء يأكلون معه .
قال : فكان أكبر ولده يدخلون فيأكلون ، فكان الرجل
يأكل اللقمتين والثلاث . فنزل الجحفة فجاءوا وجاء غلام أسود عريان
فدعاه ابن عمر . فقال الغلام : إني لا أجد موضعاً قد تراصوا ، فرأيت
ابن عمر تنحى حتى ألصقه إلى صدره^(٤) .

(١) عرسنا : نزلنا من آخر الليل .

(٢) سير أعلام النبلاء (١ : ١٤٤) .

(٣) الطبقات (١٤٩ : ٤) .

(٤) الحلية (١ : ٣٠٢) .

وعن محمد بن قيس قال . كان ابن عمر لا يأكل إلا مع المساكين حتى أضرته
ذلك بجسمه ، فصنعت له امرأته شيئاً من التمر ، فكان إذا أكل سقته ^(١) .

وعن أبي بكر بن حفص ؛ أن عبدالله بن عمر كان لا يأكل طعاماً
إلا على خوانه يتيم ^(٢) .

وعن الحسن ؛ أن ابن عمر كان إذا تغدى أو تعشى دعا من حوله
من اليتامى ، فتغدى ذات يوم فأرسل إلى يتيم فلم يجده ، وكانت له سويقة
محلالة يشر بها بعد غدائه ، فجاء اليتيم وقد فرغوا من الغداء وبيده السويقة
ليشر بها ، فناولها إياه وقال : خذها فما أراك غبنت ^(٣)

وظن الناس أن سبب هزاله إهمال زوجته له ، فعاتبوا فيه وطلبوا منها أن
تلتطف بدفع ميمون بن مهران ؛ أن امرأة بن عمر عوتبت فيه فقبل لها . أما
تلتفين بهذا الشيخ ؟ فقالت : فما أصنع به ؟ لا نصنع له طعاماً إلا دعا
إليه من يأكله . فأرسلت إلى قوم من المساكين كانوا يجلسون بطريقه
إذا خرج من المسجد فأطعمتهم وقالت لهم : لا تجلسوا بطريقه . ثم جاء إلى
بيته فقال : أرسلوا إلى فلان وإلى فلان . وكانت امرأته أرسلت إليهم
بطعام وقالت : إن دعاكم فلا تأتوه .

(١) الخلية (١ : ٢٩٨) .

(٢) الخلية (١ : ٢٩٩) .

فقال ابن عمر : أردتم أن لا أتعشى الليلة . فلم يتعش تلك الليلة ^(١).

ويعرف اللاتقون لامراته أنه لا ذنب لها؛ فيتوجهون باللوم والعتاب له ؛ فعن حمزة بن عبدالله بن عمر قال : لو أن طعاماً كثيراً أكلت عند عبدالله بن عمر ما شبع منه بعد أن يجده آكلًا. فدخل عليه ابن مطيع ^(٢) يعودده فرآه قد نحل جسمه ، فقال لصفيه - زوجته - ألا تلتفيه ؟ لعله أن يرتد إليه جسمه ، فتصنعي له طعاماً . قالت : إنا لنفعل ذلك ولكنه لا يدع أحداً من أهله ولا من يحضره إلا دعاه إليه ، فكلمه أنت في ذلك ، فقال ابن مطيع : يا أبا عبد الرحمن ، لو اتخذت طعاماً فوجع إليك جسمك . فقال : إنه ليأت علي ثنائي سنين ما أشبع فيها شبعة واحدة - أو قال : لا أشبع فيها إلا شبعة واحدة - فالآن تريد أن أشبع حين لم يبق من عمري إلا ظمء حمار ^(٣) .

ورغم هذا السخاء والإيثار لم يغتر ولم يتكبر ؛ وبقي الإنسان الخائف من الموت ، الطامع في القبول ؛ فعن هشام بن يحيى الغساني ،

(١) حلية الأولياء (١ : ٢٩٨) والطبقات (٤ : ١٦٦) .

(٢) ابن مطيع : هو عبدالله بن مطيع بن الأسود القرشي العدوي من أولاد الصحابة ، كان أمير المدينة عندما نلقت بيعة يزيد ، وحضر معركة الحرة وفر فيها . قال الزبير : كان جلدأ شجاعاً قتل مع ابن الزبير .

(٣) الحلية (١ : ٢٩٩) . وصفة الصلوة (١ : ٥٤٧) .

عن أبيه قال : جاء سائل إلى ابن عمر ، فقال لابنه : أعطه ديناراً .
فلما أنصرف قال له ابنه : تقبل الله يا أبتاه ، فقال : لو علمت أن الله
يقبل مني سجدة واحدة وصدقة درهم لم يكن غائب أحب إلي من الموت ،
أندري من يتقبل ؟ إنما يتقبل الله من المتقين .^(١)



(١) حفة الصورة (١ : ٥٧٦) .

تواضعه وحسن خلقه

وإلى جانب ما اجتمع في شخصية ابن عمر من المعالم والفضائل ؛ فإنه كان متواضعاً ، ويخاف على نفسه الحياء والفخر ، ويكره المديح ويذم المبالغة فيه ، ولقد رأيناه وهو العالم المحدث يقول لرجل جاء يستفتيه : لا علم لي به ... وبعد أن ذهب الرجل تهلل وجهه وهو يقول لنفسه : سئل ابن عمر عما لا علم له به فقال : لا علم لي به ^(١) . وهذا حرص واضح على التواضع ، ورأيناه يأكل مع المساكين ويتفقد الأيتام ليشاركوه طعامه ويؤثروهم به على نفسه ، وكان يسرع في المشي ويقول هذا أبعد من الزهو وأسرع في الحاجة ^(٢) .

ولنصغ الآن إليه وهو ينكر المبالغة في المديح مهتدياً بسنة النبي ﷺ في ذلك ؛ فعن نافع وغيره ، أن رجلاً قال لابن عمر : يا ابن خير الناس ، فقال ابن عمر : ما أنا بخير الناس ، ولا ابن خير الناس ، ولكنني عبد من عباد الله أرجو الله تعالى وأخافه ،

(١) الطبقات (٤ : ١٤٤) .

(٢) الزهد والرفاق (ص ٢٨٨) .

والله ان تزالو بالرجل حتى تهلكوه (١).

ولنوربه وهو يبكي من تأثره بمحدث سمعه عن النبي ﷺ في الترهيب من الكبر ؛ عن أبي سامة بن عبد الرحمن بن عوف قال : التقى عبدالله بن عمرو وعبدالله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهم - على المروة فتحدثا ، ثم مضى عبدالله بن عمرو ، وبقي عبدالله بن عمرو يبكي ، فقال له رجل ما يبكيك يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : هذا - يعني عبدالله بن عمرو - زعم أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر كبره الله لوجهه في النار » (٢) .

والتجبة والسلام في الاسلام مفتاح الود والمحبة ، وإعلان عن التواضع وخفض الجناح ، وكانت عادة ابن عمر الخروج الى السوق ليسلم على الناس ؛ قال ابن عمر : إني لأخرج وما لي حاجة إلا أن أسلم على الناس ويسلموا عليّ (٣) . ولكن أحدا لا يستطيع أن يسبقه بالسلام ؛ فعن بشير بن يسار قال : ما كان أحد يبدأ أو يدير ابن عمر بالسلام (٤) .

(١) حلية الأولياء (١ : ٣٠٧) والإصابة (٢ : ٣٤٠) .

(٢) حياة الصحابة (٣ : ٦٥٨) وقال : أخرجه أحمد ، ورواه

رواة الصحيح .

(٣) سير النبلاء (٣ : ١٤٧) .

(٤) الطبقات (٤ : ١٥٢) .

وكان البعض قد استغربوا عُدُوَّةَ إلى السوق لغير حاجة ، فأوضح لهم أن غرضه الوحيد هو السلام ، وهذا ما حدث للطفيل بن أبيّ بن كعب الذي كان يأتي عبدالله بن مرفيدو معه إلى السوق ، قال : فإذا غدونا لم يمرر عبدالله بن عمر على سقّاط^(١) ولا صاحب بيعة ولا مسكين ولا أحد إلا وسلم عليه ، فقلت : ما تصنع بالسوق وأنت لا تقف على البيع ، ولا تسأل عن السلع ، ولا تسوم بها ، ولا تجلس في مجالس ؟ قال : وأقول : اجلس بنا ههنا نتحدث . فقال لي عبدالله : يا أبا بطن - وكان الطفيل ذا بطن - إنما نغدو من أجل السلام ، فلم على من لقيت^(٢) .

وعن عبدالله بن عطاء ؛ أن ابن عمر كان لا يمر على أحد إلا سلم عليه ، فمر بزنجي فسلم عليه فلم يرد عليه ، فقالوا : يا أبا عبد الرحمن ، إنه زنجي طمطاني^(٣) ، قال : وما طمطاني ؟ قالوا : أخرج من السفن الآن ، قال : إني أخرج من بيتي ما أخرج إلا لأسلم أو ليسلم علي^(٤) .

ومن الوفاء أن يلتزم ابن عمر بالسلام على أحبائه من الأموات أيضاً ،

(١) السقّاط : الذي يبيع السقط من المتاع .

(٢) الخلية (١ : ٣١١) .

(٣) الطمطانات (٤ : ١٥٦) .

فكان يسلم على رسول الله ﷺ وعلى صاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما -
في قبورهم ، قال نافع : كان عبدالله بن عمر إذا قدم من سفر بدأ بقبر
النبي ﷺ وأبي بكر وعمر فيقول : السلام عليك يا رسول الله ، السلام
عليك يا أبا بكر ، السلام عليك يا أبتاه (١) .

وعن نافع قال : كان عبدالله بن عمر إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد ،
ثم أتى القبر فسلم عليه (٢) .

وكان من حسن أخلاقه أنه لا يسب ولا يلعن أحداً ، وهكذا
المؤمن ليس بطعان ولا لعان ولا فاحش ولا بذيء ، كما أخبر النبي
صلى الله عليه وسلم ؛ قال سالم : ما لعن ابن عمر رضي الله عنهما قط خادماً
إلا واحداً فأعتقه (٣) .

وقال الزهري : أراد ابن عمر أن يلعن خادمه فقال : اللهم الع ،
فلم يتمها ، وقال : هذه كلمة ما أحب أن أقولها (٤) .

وقال زيد بن أسلم : جعل رجل يسب ابن عمر وابن عمر ساكت ،
فلما بلغ باب داره التفت إليه ، فقال إني وأخي عاصماً لا نسب للناس (٥) .

(٢٠١) الطبقات (٤ : ١٠٦) .

(٤٣) حلية الأولياء (١ : ٣٠٧) .

(٥) الإصابة (٢ : ٣٤٠) .

وأخلاق الانسان تمتحن في السفر وتظهر على حقيقتها ، ونسمع رفاق ابن عمر في أسفاره يصفون لنا حسن معاملته وضيافته ، وخدمته لأصحابه ؛ قال مجاهد : صحبت ابن عمر وأنا أريد أن أخدمه ، فكان يخدمهني أكثر^(١) .

وقال : كنت أسافر مع عبدالله بن عمر فلم يكن يطيق شيئاً من العمل إلا عمله لا يكله إلينا ، ولقد رأيته يطأ على ذراع ناقتي حتى أركبها^(٢) .

وكان إذا قدم معه نزل على آل عبدالله بن خالد بن أسيد ثلاثاً في هراهم ، ثم يرسل إلى السوق فيشتري له حوائجه^(٣) .

والوفاء بالوعد من الدين ، بل هو الدين نفسه ، ولم يفت ابن عمر أن يحصر على الوفاء بالوعد وحتى على شبه الوعد ، ولنسمعه يؤكد ذلك وهو يتحدث فيقول :

إنه كان خطب إليّ ابنتي رجل من قريش ، وقد كان مني إليه

(١) صفة الصفوة (١ : ٥٧٦) .

(٢) الطبقات (٤ : ١٦٤) .

(٣) الطبقات (٤ : ١٥٨) .

شبه الموهب ، فوالله لا ألقى الله بثلث الثقات ^(١) ، أشهدكم أني قد
زوجته ابنتي ^(٢) .

والتعامل المأذني مع الناس يكشف عن جوهر الانسان وعن حبيته
نفسه وأصالة أخلاقه ؛ فلتر ابن عمر في هذا المضمار ، قال عطاء مولى ابن
سباع : أقروخت ابن عمر ألفي درهم فبعث إلي بألفي درهم وافر ،
فوزنتها فإذا هي تريد مائتي درهم ، فقلت : ما أوى ابن عمر إلا يجربني
فقلت : يا أبا عبد الرحمن ، إنها تريد مائتي درهم ، قال : هي لك ^(٣) .
وعن مجاهد ، أن ابن عمر كانت عليه دراهم ففقد أجود منها ،
فقال الذي قضاه : هذه خير من دراهمي ، فقال : قد عرفت ولكن
نفسي بذلك طيبة ^(٤) .

وعن جبلة بن سميح قال : رأيت ابن عمر اشتري قميصاً فلبسه ،
فأراد أن يردّه ، فأصاب القميص صفرة من لحيته ، فأمسكه من أجل
تلك الصفرة ، ولم يردّه ^(٥) .

(١) يشير ابن عمر إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في البخاري
ومسلم : « ثلاث من كن فيه فهو منافق ، وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم :
إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان » .

(٢) إحياء علوم الدين (٣ : ١٢٩) .

(٣) الطبقات (٤ : ١٦٦) .

(٤) الطبقات (٤ : ١٦٩) .

(٥) الطبقات (٤ : ١٧٣) .

فضائله

شهد الصحابة الكرام بفضائل عبدالله بن عمر ، وثباته على الأمر الأول ، لم يتبدل ولم يتغير بعد وقوع الفتن المظلمة والحوادث المفجعة ، وبقي يهتدي بتور الوحي ونور أصحابه الذين سبقوه .

قال ابن مسعود : « لقد رأيتنا ونحن متوافرون وما فينا شاب هو أملك لنفسه من ابن عمر » (١) .

وقال حذيفة : « ما منا أحد يفتش إلا يفتش عن جائفة » (٢) أو منقلة (٣) إلا عمر وابنه » (٤) .

وقالت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - : ما رأيت أحداً ألزم للأمر الأول من ابن عمر » (٥) .

(١) سير النبلاء (٣ : ١٣٩)

(٢ و ٣) « الجائفة » : الطعنة التي تصل إلى الجوف . و « المنقلة » من الجراح : ما ينقل العظم عن موضعه . وأراد حذيفة رضي الله عنه ، ليس منا أحد إلا وفيه عيب عظيم فاءتغار الجائفة والمنقلة لذلك ، عن النهاية في غريب الحديث .

(٤ و ٥) - سير النبلاء (٣ : ١٤٠) .

وسجلت الطبقة العليا من علماء التابعين في مكة والمدينة إعجابهم الكبير بشيخها ومحدثها العالم الزاهد في بطون الكتب وعلى صفحات القلوب ، وتناقلت حلقات العلم فضائل ابن عمر و أثره العظيمة ، فهذا سيد التابعين سعيد بن المسيب يقول : « لو شهدت لأحد أنه من أهل الجنة لشهدت لابن عمر ^(١) » ، وقال : « كان ابن عمر يوم مات خير من بقي ^(٢) » ، وعن يحيى ابن أبي اسحاق قال : سألت سعيد ابن المسيب عن صوم يوم عرفة ، فقال : كان ابن عمر لا يصومه . قال : قلت : هل غيره ؟ قال : حسبك به شيخاً ^(٣) .

وهذا الإمام مالك يعلن عن إعجابه بفضائل ابن عمر فيقول : « قد أقام ابن عمر بعد النبي ﷺ سنة يفتي الناس في الموسم وغير ذلك » .

وقال : « وكان ابن عمر من أئمة المسلمين » ^(٤) .

وقال : « قال لي أبو جعفر - أمير المؤمنين - : كيف أخذتم قول ابن عمر من بين الأقاويل ؟ فقلت له : بقي يا أمير المؤمنين ، وكان له

(٢١) سير النبلاء (٣ : ١٣٩) .

(٣) الطبقات (٤ : ١٥٨) .

(٤) أسد الغابة (٣ : ٣٤٢) .

فضل عند الناس، ووجدنا من تقدمنا أخذ به فأخذنا به، قال : فخذ بقوله وإن خالف علياً وابن عباس » (١) .

وقال مالك : سمعت المشايخ يقولون : من أخذ بقول ابن عمر لم يدع من الاستقصاء شيئاً (٢) .

وقال : « كان إمام الناس عندنا بعد زيد بن ثابت عبدالله بن عمر ، مكث ستين سنة يفتي الناس » (٣) .

وقال رجاء بن حيوة : « أئانا نعي ابن عمر ونحن في مجلس ابن محيرز ، فقال ابن محيرز : والله إن كنت أعد بقاء ابن عمر أماناً لأهل الأرض » (٤) .

وقال مجاهد : « ترك الناس أن يقتدوا بابن عمر وهو شاب ، فلما كبر اقتدوا به » (٥) .

وقال موسى بن طلحة : « يرحم الله عبدالله بن عمر - إماماً سماه

(١) الطبقات (٤ : ١٤٧) .

(٢) الاصابة (٢ : ٣٤٠) .

(٣) سير النبلاء (٣ : ١٤٨) .

(٤) تهذيب التهذيب (٥ : ٣٣٠) .

(٥) الطبقات (٣ : ١٣٧) .

وإما كتابه - والله إني لأحسبه على عهد رسول الله ﷺ الذي عهدته إليه لم يفتن بعده ولم يتغير ، والله ما استغفرته قريش في فتنها الأولى^(١) ، وشهدت وقائع التاريخ أن عبدالله بن عمر كان داعية للسلام والطاعة والتزام الجماعة ، فما استترك في فتنة ، وما حمل السلاح في وجه مسلم ، وبقي يصلي وراء كل أمير ويدفع له الزكاة ؛ فعن زيد بن أسلم : أن ابن عمر كان في زمان الفتنة لا يأتي أمير إلا صلى خلفه وأدى إليه زكاة ماله^(٢) ، ولذلك قال سفيان الثوري : « يقدرى بعمر في الجماعة وبابنه في الفرقة . »

ومن الطريف أن أم ولد لعبدالمملك بن مروان بعثت إلى وكيلها تستهديه غلاماً ، وقالت : يكون عالماً بالسنة ، قارئاً لكتاب الله ، فصيحاً عفيفاً ، كثير الحياء ، قليل المراء ، فكتب إليها : قد طلبت هذا الغلام فلم أجد غلاماً بهذه الصفة إلا عبدالله بن عمر ، وقد ساومت به أهله فأبوا أن يبيعوه^(٣) .

ومن يتسبع كتب التراجم والرجال لينظر في مناقب عبدالله بن عمر ، فإنه يجد الكتاب العلماء قد بدأوا ترجمته بعبارات بليغة تلخص

(١) الطبقات (٣ : ١٣٦) .

(٢) الطبقات (٤ : ١٤٩) .

(٣) مير اعلام النبلاء (٣ : ١٤٨) .

فضائله الجمّة وأعماله الحميدة خلال حياته المباركة ، وها أنذا أسوق بعضاً من هذه البداهات ؛ قال أبو نعيم في كتابه « حلية الأولياء » :
 « ومنهم الزاهد في الإمرة والمراتب ، الراغب في القربة والمناقب ، المتعبد المتجهّد ، المتبّع للأثر المتشدد . نزيل الحساء والمساجد ، طويل الرغاء في المشاهد ، يعد نفسه في الدنيا غريباً ، ويرى كل ما هو آت قريباً ، المستغفر التواب ، عبدالله بن عمر بن الخطاب » (١) .

وقال ابن خلكان في كتابه « وفيات الأعيان » :
 « كان عبدالله بن عمر من أهل الورع والعلم ، وكان كثير الاتباع لآثار رسول الله ﷺ ، شديد التحري والاحتياط والتوقي في فتراه وكل ما يأخذ به نفسه . وكان لا يتخلف عن السرايا على عهد رسول الله ﷺ ، ثم كان بعد موته مولعاً بالحج قبل الفتنة وفي الفتنة إلى أن مات ، ويقولون : إنه كان أعلم الصحابة بمناسك الحج » (٢) .

وقال النووي في كتابه « تهذيب الأسماء واللغات » :

« عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنها القرشي العدوي المدني الصحابي الزاهد . كان شديد الاتباع لآثار رسول الله ﷺ ، ومناقبه كثيرة مشهورة ، بل قلّ نظيره في المتابعة لرسول الله ﷺ في كل شيء »

(١) حلية الأولياء (١ : ٢٩٢) .

(٢) وفيات الأعيان : (٢ : ٢٣٤) .

من الأقوال والأفعال ، وفي الزهادة في الدنيا ومقاصدها والتطلع إلى
الرياسة وغيرها . وكان ابن عمر كثير الصدقة . ولم يقاتل في الحروب
التي جرت بين المسلمين .^(١)

وقال الحافظ صفي الدين أحمد بن عبدالله الخزرجي في كتابه
« خلاصة تذهيب الكمال » : قال شمس الدين الذهبي : « كان إماماً متيناً ،
واسع العلم كثير الاتباع ، وافر النسك كبير القدر ، متين الديانة عظيم
الحرمة ، ذكر للخلافة يوم التحكيم وخطب في ذلك فقال : على أن
لا يجري فيها دم^(٢) » .

(١) تهذيب الأسماء واللغات (١ : ٢٧٩) .

(٢) خلاصة تذهيب الكمال (ص ٢٠٧) .

خاتمة

وأحسبني الآن قد جليت حياة ابن عمر من ولادته إلى وفاته ،
ووفيت قدر إمكاني بما التزمت به من إظهار معالم شخصيته الفذة ،
وصحته المبكرة ، ورجولته الصالحة .

وقد رأينا أن علاقته بالاسلام - والتي بدأت وهو غليم لم يبلغ الحلم -
هي التي جعلته يجد نفسه الزكية الطاهرة بعد أن أثار الإسلام جوانبها
ونمى فضائلها ، ولفظ خبثها ؛ فكان لها في التاريخ ذكرٌ وأثر ، فأصبح
عبدالله بن عمر علماً من أعلام الأمة الإسلامية الكبار في الجهاد والعلم
والعبادة .

ولئن تعشق الإنسان العاقل العادل الرجولة مع الصلاح
والقوة في الجهاد ، ووفرة المال مع الزهد ، والعلم مع الورع ، والتمسك
بالحق مع الثبات والمثابرة ؛ فإن هذه الصفات كانت حقائق ثابتة في حياة
ابن عمر .

وإن محبتي له كانت تزيد مع كتابة كل سطر من هذا الكتاب ،
وأضحت تدفعني إلى المتابعة والاستمرار لإتمام هذا العمل ، وعلمتني
الصبر والجلد والاستفادة من الوقت ، والدأب على المطالعة والتنقيب

في الكتب ؛ فرحم الله ابن عمر ، وجزاه عنا خير الجزاء ، وجمعنا وإياه
تحت لواء سيدنا محمد ﷺ .

ومن المؤكد أننا لا نستطيع أن نوفي هذا الصحابي الجليل حقه علينا
إلا إذا سلكننا طريقه واقتفينا أثره ، وتشبهنا بفضائله ؛ فنكون بذلك
قد حققنا صدق القدوة برسولنا وقائدنا محمد بن عبدالله ﷺ . اللهم أعنا
على ذلك ، ووفقنا لكل خير ، والحمد لله رب العالمين .

المراجع

- | اسم المؤلف | اسم الكتاب |
|-------------------------|---------------------------------------------------------|
| الخزالي | ١ - إحياء علوم الدين (مصر - ١٩٥٧ م) |
| علي وناجي الطنطاوي | ٢ - أخبار عمر (دار الفكر - دمشق ١٩٥٩ م) |
| ابن الأثير (عز الدين) | ٣ - أسد الغابة (كتاب الشعب ١٩٧٠ م) |
| ابن حجر | ٤ - الإصابة في تمييز الصحابة (طبعة السعادة بمصر) |
| الزركلي | ٥ - الأعلام (الطبعة الثالثة) |
| ابن كثير | ٦ - البداية والنهاية (بيروت ١٩٦٦ م) |
| منصور علي ناصيف | ٧ - التاج الجامع للأصول (الطبعة الرابعة) |
| السيوطي | ٨ - تاريخ الخلفاء (مصر ١٩٦٩ الطبعة الرابعة م) |
| ابن عساكر | ٩ - تاريخ دمشق (مخطوط) |
| ابن جرير الطبري | ١٠ - تاريخ الطبري (دار المعارف بمصر ١٩٦٩ م) |
| د . أحمد شلي | ١١ - التاريخ الاسلامي (مصر - الطبعة الرابعة ١٩٦٦ م) . |
| الذهبي | ١٢ - تذكرة الحفاظ (طبعة هندية) . |

اسم المؤلف	اسم الكتاب
المنذري	١٣ - التريغيب والترهيب (الطبعة الثانية ١٩٦٨ م)
النووي	١٤ - تهذيب الأسماء واللغات (المطبعة المنيرية بمصر)
ابن حجر	١٥ - تهذيب التهذيب (طبعة هندية)
ابن الديبع الشيباني	١٦ - تيسير الوصول (مصطفى الباي الحلبي ١٩٣٤ م)
ابن الأثير الجزري	١٧ - جامع الأصول (دمشق ٩٦٩ م)
(مجد الدين)	
محمد يوسف الكاندهلوي	١٨ - حياة الصحابة (دمشق - دار القلم ١٩٦٨)
أبونعيم الأصفهاني	١٩ - حلية الأولياء (طبعة السعادة بمصر)
الحزرجي	٢٠ - خلاصة تذهيب الكمال (حلب ١٩٧١ م)
سيد قطب	٢١ - دراسات إسلامية (الطبعة الخامسة ١٩٧١ م)
ابن قيم الجوزية	٢٢ - زاد المعاد (مصر - ١٣٧٩ هـ)
عبدالله بن المبارك	٢٣ - الزهد والرفائق (طبعة هندية)
خالد محمد خالد	٢٤ - رجال حول الرسول (مصر ١٩٦٤ م)
النووي	٢٥ - رياض الصالحين
الحب الطبري	٢٦ - الرياض النضرة (مصر ١٩٥٣ م)

اسم المؤلف

اسم الكتاب

- ٢٧ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب (على هامش الاصابة)
ابن عبد البر
- ٢٨ - سنن الترمذي (حصص ١٩٦٥ م) الترمذي
- ٢٩ - سنن أبي داود أبو داود
- ٣٠ - السنة قبل التدوين (مكتبة وهبة بمصر) د . محمد عجاج الخطيب
- ٣١ - سير أعلام النبلاء (دار المعارف بمصر) الذهبي
- ٣٢ - سيرة ابن هشام (الطبعة الثانية ١٩٥٥ م) ابن هشام
- ٣٣ - سيرة عمر بن الخطاب (القاهرة ١٩٢٩ م) ابن الجوزي
- ٣٤ - شرح صحيح مسلم (طبعة دار الشعب) النووي
- ٣٥ - الشفاء (دمشق ١٣٩٢ هـ) القاضي عياض
- ٣٦ - صحيح البخاري البخاري
- ٣٧ - صحيح مسلم مسلم
- ٣٨ - صفة الصفوة (حلب ١٩٦٩ م) ابن الجوزي
- ٣٩ - صور من حياة الرسول (دار أمين دويدار
- المعارف بمصر) ١٩٦٨ م
- ٤٠ - الطبقات الكبرى (بيروت ١٩٦٠) ابن سعد
- ٤١ - العواصم من القواصم (مصر ١٣٧١ هـ) أبو بكر بن العربي
- ٤٢ - فتح الباري بشرح البخاري (الباني ابن حجر
- الحلي بمصر)

اسم المؤلف	اسم الكتاب
سيد قطب	٤٣ - في ظلال القرآن (بيروت. الطبعة الرابعة)
د . صبحي الصالح	٤٤ - مباحث في علوم القرآن (الطبعة الرابعة ١٩٦٥ م)
اليافعي	٤٥ - مرآة الجنان
أحمد بن حنبل	٤٦ - المسند (المكتب الاسلامي بيروت)
ابن قتيبة	٤٧ - المعارف (بيروت - ١٩٧٠ م)
سيد قطب	٤٨ - معالم في الطريق (مصر ١٩٦٨ م)
محمد قطب	٤٩ - منهج التربية الاسلامية (الطبعة الثانية)
المودودي	٥٠ - نحن والحضارة الغربية (دار الفكر بدمشق)
مصعب الزبيري	٥١ - نسب قریش (دارالمعارف بمصر)
ابن الأثير (مجد الدين)	٥٢ - النهاية في غريب الحديث (الطبعة الأولى ١٩٦٨ م)
مالك	٥٣ - الموطأ (طبعة دار الشعب)
ابن خالكان	٥٤ - وفيات الأعيان (تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - مصر)

فهرس

٥	لأقدمة
١١	معالم حياه
١٥	طفولته ونشأته
١٥	اسمه وكنيته
١٦	نسبه
١٧	أبوه
١٨	أمه
١٩	مولده - نشأته
٢٣	مع الرسول صلى الله عليه وسلم
٢٣	إسلامه
٢٥	هجرته
٢٩	صحبه
٣٧	مشاهده
٥٧	مع الخلفاء الراشدين
٥٧	عبدالله وأبو بكر

٦٤	عبدالله وأبو عمر
٧٧	عبدالله وعثمان
٨٣	عبدالله وعلي
٩١	في حكم بني أمية
٩٣	حضور ابن عمر مجلسي التحكيم والصلح
٩٥	إلى الجهاد من جديد
٩٦	عقد البيعة ليزيد بن معاوية
٩٨	وفاء ابن عمر لبيعة يزيد
١٠٠	نصيحة للحسين بن علي
١٠١	خلافة عبدالله بن الزبير
١٠٢	الاصرار على العزلة والحياد
١٠٥	بيعة ابن عمر لعبد الملك
١٠٦	ابن عمر والحجاج
١٠٨	منارة اتفاق وسلام
١١١	وفاته
١١٤	حليته ولباسه
١١٧	أسرته

معالم شخصيته

١٢٧	أسوته برسول الله صلى الله عليه وسلم
-----	-------------------------------------

١٣٤	علمه
١٥٦	جهاده
١٦٠	عبادته
١٧٧	خوفه من الله
١٨٠	زهد و ورعه
١٩١	جوده و كرمه
٢٠١	قواضيه و حسن خلقه
٢٠٧	فضائله
٢١٣	خاتمة
٢١٥	المراجع

أعمال المسلمين

سلسلة تراجم إسلامية هادفة ، تنشرها دار للقلم في دمشق وبيروت . وصدر منها :

- | | |
|---------------------------------------------------|-------------------------|
| (الإمام القدوة) | ١ - عبد الله بن المبارك |
| (فقيه السنة الأكبر) | ٢ - الإمام الشافعي |
| (الداعية المجاهد) | ٣ - مصعب بن عمير |
| (الأمير الشهيد) | ٤ - عبد الله بن رواحة |
| (إمام الأئمة الفقهاء) | ٥ - أبو حنيفة النعمان |
| (الصحابي المؤتمى برسول الله) | ٦ - عبد الله بن عمر |
| (الخادم الأمين والمحِب العظيم) | ٧ - أنس بن مالك |
| (سيد التابعين) | ٨ - سعيد بن المسيب |
| (فاتح القسطنطينية وقاهر الروم) | ٩ - السلطان محمد الفاتح |
| (شيخ الإسلام والمسلمين وعمدة الفقهاء والمحدثين) | ١٠ - الإمام النووي |
| (العلامة المجاهد) | ١١ - الشيخ محمد الحامد |
| (أم المؤمنين وعائلة نساء الإسلام) | ١٢ - السيدة عائشة |
| (سيد الحفاظ والمحدثين) | ١٣ - الإمام البخاري : |

أعلام المسلمين

سلسلة كتابية هادفة تترجم لأعلام المسلمين في شتى الميادين

تترجم هذه السلسلة لأعلام المسلمين وقادتهم ، الهداة الدعاة المخلصين ، الذين عاشوا لهذا الدين : يخدمونه ، ويذلون النفس والنفيس من أجله ، والذين كان مهمهم الأعظم في حياتهم نصرته ، ورفع لوائه ، ودعوة الناس إليه ، وبجاهدة أعدائه بالقلم واللسان أو بالسيف والسنان ، وستتسع إن شاء الله تعالى لرجال الات اسلام العظام من عهد الصحابة رضي الله عنهم وإلى يوم الناس هذا ، وستكون بعونه تعالى فتحاً جديداً في عرض تاريخ الاسلام ؛ ممثلاً في سير أعلامه ، الذين كان لهم أكبر الأثر في حياة المسلمين وتاريخهم على مر العصور .

يشترك في تخويرها نخبة من أصحاب الأقلام الاسلامية الواعية